**جامعة حماة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

**قسم اللغة العربية-السنة الثالثة**

**محاضرات تاريخ النحو والأدوات النحوية من مقرر"النحو وتاريخه"**

**أعدها الدكتور محمد عبدو فلفل**

**للعام الجامعي 2022-2023**

موجز تاريخ النــحـــو العربي

**الخلاف في نشأة النحو العربي** .

من المعروف أن كتاب سيبويه(179هـ) الموسوم بـ(الكتاب) هو أول مصنّف في تاريخ النحو العربي وصل إلينا موثوقا في نسبته إلى صاحبه، و معروف أيضا أن هذا الكتاب على ما هو عليه يمثل صورة ناضجة من صور التفكير والتصنيف النحويين، و قد أثار ما لوحظ فيه من نضج تفكيرا وتصنيفا تساؤلات عن طبيعة التفكير النحوي السابق له، وعن مصادر البذور الأولى لهذا التفكير، فلا شك أنه لا يمكن -كما قيل- أن يلد كتاب سيبويه عملاقا من دون أن يُسْبَقَ بمراحل نمو وتطور، تؤدي إلى ولادته ولادة طبيعية، وهذا يفسر الحيرة التي يشعر بها المعنيون بالتأريخ لنشأة النحو العربي، وذلك لغموض معطيات هذه النشأة، وفي ذلك يقول المستشرق (ت.دي.بور):" يحيط الغموض بأول نشوء دراسته، فلو نظرنا إلى كتاب سيبويه لوجدناه عملا ناضجا، ومجهودا عظيما، حتى إن المتأخرين قالوا:إنه لا بد أن يكون ثمرة جهود متضافرة لكثير من العلماء.."

والسؤال المطروح فيما نحن فيه من حديث عن نشأة النحو العربي هو متى نشأة الجهود النحوية السابقة لكتاب سيبويه؟ وما طبيعتها؟ وما مصادرها؟ أهي عربية الأصل؟ أم أن الرواد أفادوها من منجزات شعوب أخرى، كاليونان والرومان والهنود والسريان، هذا ما سنحاول الإجابة عنه فيما سيأتي ممهدين لذلك ببيان غموض النشأة التاريخية للعربية نفسها، وبالإشارة إلى أن هذا الغموض لا ينفي أن الكتابة كانت معروفة في العصر الجاهلي من حياة العربية، وأنه لا شك أن معرفة الكتابة تقوم على شيء من التفكير اللغوي، وفي ضوء ذلك سننظر إلى نشأة التفكير النحوي عند العرب، فالتفكير النحوي لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب التفكير اللغوي عامة.

**العربية طفولة مجهولة ونشأة غامضة**

من الملاحظ أن التاريخ لم يقدم لنا صورة واضحة عن طفولة اللغة العربية ، ذلك أننا لا نملك آثارا مكتوبة توضح حال العربية في تلك المرحلة، لذا نجد أنفسنا في التأريخ للعربية مباشرة مع لغة ناضجة مكتملة[[1]](#footnote-1)، تلك التي نُـظِـم بها الشعر الجاهلي، ونزل بها القرآن الكريم ، ومما لا شك فيه أن العربية المُـمَـثـَّلة بهاتين المدونتين لغة مكتملة النضج ، ولا يُعْـقـَـل أن تكون قد وجدت دفعة واحدة على هذه الحال دون المرور في حالات متدرِّجة من النمو والتطور، ولكننا لا نملك من الآثار المكتوبة عن هذه المراحل ما يصور حالاتِ التطور والنمو المتدرجة لهذه اللغة، ولذلك احتدم الخلاف بين الدارسين في الأصل الذي تعود إليه عربيتنا الفصحى الممثلة ابتداء بالشعر الجاهلي وبالقرآن الكريم، فقد اخْـتـُـلِـفَ في طبيعة علاقة العربية بما يعرف باللغات السامية عامة، وفي علاقتها بما يعرف بالعربية الجنوبية في اليمن وبالعربية الشمالية في غرب شبه الجزيرة العربية، كما اخْـتُــلِف أيضا في طبيعة العلاقة بين العربية ولهجاتها، فظهر في ذلك نظريتان؛ ترى إحداهما – وهي الراجحة بمرجحات لا مجال لعرضها-أن الفصحى نموذجٌ منتخب مما في هذه اللهجات عامة ، وذلك بفعل عوامل اقتصادية واجتماعية وأدبية ،لا مجال في هذا التمهيد الموجز لبيانها ، ويفترض آخرون أن الفصحى أصلٌ انبثقت عنه سائر لهجاتها بفعل انتشار العرب في أصقاع مختلفة من شبه الجزيرة العربية كنجد والحجاز، فهذه مسائل خلافية في التأريخ لنشأة العربية الفصحى .

**الكتابة مظهر من مظاهر التفكير اللغوي**.

على أن المؤكَّــــد أن العربية لغة عرفتِ الكتابة في العصر الجاهلي ، لذا من الطبيعي أن نجد في المدونة اللغوية العربية كالشعر الجاهلي والقرآن الكريم إشاراتٍ إلى الكتابة وحروفها ، وأدواتها كالكتاب والسطر والقلم ، من هذا القبيل قول عنترة

وبحاجب كالنون زَيَّــنَ وجهها وبناهد حسَنٍ وكشح أهضمِ

وهذا يعني أن الكتابة ليست شيئا غريبا عن العربي في العصر الجاهلي،وإلا فبم نفسر حرص الشاعر الجاهلي على تشبيه الطلل الدارس بالكتاب لو لم يكن المشبه به أي الكتاب أو الكتابة شيئا معروفا مألوفا عند الإنسان الجاهلي المخاطب بهذا الشعر، لذا نرى لبيدا يقول :

وجلا السيولُ عن الطُّلول، كأنها زُبُر، تجدُّ متونَها أقلامُ

ومن هذا القبيل قول امرئ القيس:

لِمَنْ طللٌ أبصرتُه فشجاني كخط زَبُورِ في عسيب يماني

وقول الهذلي :

عرفتُ الديار كرسْم الكتـــــــــــاب يزبِّرُه الكاتب الحِمْيَـــريُّ

الكتابة إذن ولوازمها، وأعلامها أشياء معروفة عند الإنسان الجاهلي، ولكنها لم تكن ميسرة،لذا لم تكن شائعة في مختلف شؤون الحياة، على أن مجرد وجودها في ذلك العصر يعني أننا أمام مهارة ذات أصول مرعية لها من يعلِّمها ومن يتعلمها.

ومما لا شك فيه أن الإلمام بهذه الأصول قائم على مظهرٍ من مظاهر التفكير العلمي في اللغة العربية، فالكتابة على الأقل في مرحلة الأبجدية الممثَّـلة برموز خطية للأصوات اللغوية، تمثِّــــلُ النظام الصوتي للغة كما تعكس معارف لغوية، من أجلى مظاهرها الوعي بالأصوات اللغوية مفردة، ومركبة في مقاطع، أو بنى وأوزان محدَّدة ومضبوطة ضبطا يُمَكِّــن الكتابة من أن تكون أداة مفيدة في التواصل بين الناس، وإذا سلمنا بذلك كان من المشروع علميا أن نفترض أن مظهرا ما من مظاهر التفكير أو البحث في اللغة العربية وجد في العصر الجاهلي أوما قبله. وهو ما يؤنس به ويؤيده عبد العال سالم مكرم في قوله :"إن قضية نشأة النحو مرتبطة بمعارف العرب السابقة في الجاهلية وفي العصر الإسلامي...فإذا كان العرب في جاهليتهم وفي العصر الإسلامي يجيدون القراءة،ويحسنون الكتابة فإن من البديهي ارتباط هذه القراءة، أوهذه الكتابة بالضوابط الإعرابية من رفع ونصب وجر وجزم، لأنه لا يمكن أن نسلم أن تعليم القراءة والكتابة يجري بعيدا عن منطق اللغة وسلامة تراكيبها"[[2]](#footnote-2)

**النحو العربي بين الأصالة والتأثر.**

وفيما تقدم مسوِّغٌ آخر من مسوِّغات التساؤل عما إذا كانت معالم التفكير النحوي التي أخذت تظهر و تتنامى مع نزول القرآن الكريم امتدادا لتفكير سابق في هذا الميدان، أم كانت وليدة تلك المرحلة التاريخية، ونجمت عن تفكير محلي، دفعت إليه معطيات الثورة العارمة والشاملة التي أحدثها نزول القرآن وانتشار الإسلام الحنيف، دين الدولة العربية الإسلامية الوليدة

**مذهب القائلين بالتأثر،والحلقة المفقودة.**

وللإجابة عن هذا التساؤل أُجْرِيَتْ دراساتٌ مستفيضة ومتباينة، نجم عنها آراء مختلفة، أبرزها رأي، مُفاده أن ما وصل إلينا من معالم التفكير النحوي الأولى على درجة من الرقي في الوعي والمفهوم والمصطلح، تشجع على افتراض أن هذه المعالم ليست نقطة البدء في التفكير النحوي، بل هي امتدادٌ لمراحل سابقة أقل نضجا من لاحقتها، ولكن التاريخ لم يقدم لنا من الأدلة والوثائق ما يوضح تلك المرحلة، مما حمل على افتراض، مفاده أن في تاريخ النحو العربي حلقة مفقودة ، فزعم بعضهم أن هذه الحلقة المفترضة يمكن أن تكون الحاضن لمظاهر تأثر التفكير النحوي عند العرب بما كان لدى الأمم الأخرى السابقة في هذا الميدان من ميادين التفكير العلمي، ومما استدل به أصحاب هذا الرأي على مزاعمهم هذه ما لاحظوه من تشابه في بعض المفاهيم الأساسية بين ما في التفكير النحوي العربي، وما لدى غير العرب في هذا الباب، ومن ذلك التقسيم الثلاثي للكلام المتمثل بالاسم والفعل والحرف،وفي ذلك يقول إبراهيم أنيس"قنع اللغويون القدماء بذلك التقسيم الثلاثي من اسم وفعل وحرف متبعين في هذا فلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل الأجزاء ثلاثة ، سمَّوها الاسم والكلمة والأداة، ولمَّا حاول اللغويون العرب تحديد المقصود من هذه شق الأمر عليهم"[[3]](#footnote-3)

ومن المشتركات بين النحو العربي والأنحاء السابقة له فكرة الإسناد التي لا يقوم للجملة عند الجمهور قائمة بدونه، بل رأى بعضهم أن ما يعرف في تاريخ القرآن الكريم بِنـَقْـط الإعراب الذي ينسب كما سنلاحظ إلى أبي الأسود الدؤلي(69هـ) فكرة معروفة من قبل في الكتابة السريانية، كل هذه الأمور سوَّغت لفريق من الباحثين أن يفترض تأثُّـر النحو العربي في نشأته بفكر وافد على العرب من أمم أخرى، فمن قائل بأنهم تأثروا في ذلك بالفكر اليوناني عامة، وبالمنطق الأرسطي منه خاصة، إلى قائل بأن تأثرهم كان بالهنود، ويرى فريق ثالث تأثر العرب فيما نحن فيه بالسريان، ومن قائل بأن هذا الـتأثر كان منذ البدء، كما كان شاملا لمختلف مناحي التفكير اللغوي، وهو ما زعمه المستشرق كيس فريستغ في كتابه(عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي)ومنهم من قصر تأثر النحو العربي بالفكر الوافد على فترة متأخرة عن عصر النشأة، أي على القرن الثالث الهجري وما بعده، وذلك بعد أن كان هذا النحو قد استوى على سوقه مكتملا في كتاب سيبويه (179هـ)

**القائلون بالأصالة والافتقار إلى الدليل التاريخي.**

والملاحظ أن القائلين بتأثر النحو العربي منذ نشأته الأولى بالفكر الوافد ليس لديهم من الأدلة التاريخية الموثوق بها، أو من قنوات التواصل المعرفي بين العرب وغيرهم ما يجعلنا نطمئن إلى صحة مزاعمهم هذه، ذلك أن الترجمة إلى العربية عن الأمم الأخرى التي يُـفْــتَـرَضُ أن النحو العربي تأثر في نشأته بعلوم الأمم الأخرى من خلالها لم تظهر إلا في القرن الثالث للهجرة، أي بعد أن كان النحو العربي قد نضج واكتمل في كتاب سيبويه(179هـ) وهذا مما ردَّ به القائلون بأصالة النحو العربي، وبأنه تفكير عربيُّ المَحْـتـد، عملت على إيجاده عند العرب الثورة الدينية والعلمية والمجتمعية الشاملة التي ألمَّتْ بالعرب مع نزول القرآن الكريم ، وانتشار الإسلام الحنيف، فهؤلاء يرون أن عوامل متعددة، في مقدمتها العناية بالقرآن الكريم كما سنرى كانت كفيلة بحمل العرب والمسلمين على التفكير في أمور اللغة العربية، ولاسيما نحوها وصرفها، ويرى هؤلاء أن بوادر تفكير العرب والمسلمين الأولى في النحو العربي فيها من البساطة والعفوية، والنكهة العربية المحلية، والبعد عن المعالم المصطلحية ما يحمل على القول بأن هذا النحو وُجِـدَ عربيَّ الأصل لأسباب سنعرض لها فيما سيأتي.

**لا دليل في التشابه على التأثّر**.

ومما ردَّ به القائلون بأصالة النحو العربي على حجج الفريق الآخر أنه لا دليل فيما زعموه من تشابه في بعض المفاهيم الأساسية بين النحو العربي وغيره من الأنحاء لدى الأمم السابقة على التسليم بوجود بعض التشابه، وذلك لأن في اللغات عامة مشتركاتٍ في آليَّات التعبير، وفي مقدمة ذلك فكرة الإسناد، ووجود الأسماء والأفعال والحروف، يضاف إلى ذلك أنَّ في آليات تفكير البشر عامة من المشتركات ما يمكن أن يفضي إلى نتائج متشابهة في معالجتهم للمسائل العلمية المشتركة، وفي هذا السياق ينظر تشومسكي إلى اللغات عامة على أنها تمثلات لشيء واحد عام في بني الإنسان مخصوصين به، ولذلك لا نستغرب التشابهات العميقة بين اللغات كما لا نستغرب أن يصل بنو الإنسان في دراسة لغاتهم إلى نتائج متشابهة[[4]](#footnote-4)، لذا ليس من الضروري أن يكون ما بين العرب والأمم السابقة من التشابه في الدرس النحوي دليلا على تأثر اللاحق بالسابق، وما الذي يمنع من الاعتقاد مع عدم توفر الأدلة التاريخية على التأثر المزعوم بأن العرب اهتدوا بأنفسهم في معرض دراستهم للغتهم إلى بعض ما اهتدى إليه سابقوهم في المشترك من القضايا اللغوية، وما الدليل الكفيل بأن يقنعنا بأن القدرة على التوصل إلى هذه المشتركات مقصورة على السابق دون اللاحق ؟ !

**الافتقار إلى دليل الإثبات ليس دليلاً على النفي**.

والجدير بالذكر أن الاعتراض على القول بتأثـُّـر النحو العربي في عصر النشأة بالفكر الخارجي بعدم توفر الأدلة والوثائق التاريخية الصحيحة والمثبتة لذلك التأثر اعتراضٌ على دليل الإثبات، وعدم وجود الدليل على إثبات وجود الشيء منطقيا ليس دليلا بالضرورة على انتفاء وجود ذلك الشيء، فافتقارنا إلى دليل على وجود زيد في مكان ما لا يعني بالضرورة عدم وجوده في ذلك المكان، مما يجعل قضية الأصالة والتأثر في نشأة النحو العربي عرضة للمزيد من البحث والمناقشة. ولولا ذلك لما اختلف الدارسون عربا وعجما في هذه القضية اختلافا حادَّا، شغل بحوثا ودراسات مستفيضة، على أنَّ المؤكد لدى هؤلاء جميعا أن معالم من التفكير في علوم العربية ولاسيما النحو ظهرت ظهورا لافتا إثر نزول القرآن الكريم ، ثم توسَّعت فيما بعد، و تعمقت، فما أسباب ذلك الظهور ؟ هذا ما سنعرض له بإيجاز فيما يلي .

**أسباب نشأة النحو العربي**

مع نزول القرآن الكريم كتابا لدينٍ سماوي عالمي، يجب العمل على نشره دستورَ حياة في مختلف الشؤون والمناحي استجدَّت معطياتٌ جسيمة وخطيرة في المجتمع العربي، كانت كفيلة بإيجاد أسباب لنشوء وازدهار علوم كثيرة وفي مقدمتها النحو العربي، وفيما يلي إيجاز لأبرز هذه الأســبـــــــــاب :

1. **تفشِّي اللحن في العربية.**

بيان ذلك أن الملكة اللغوية للإنسان تتأثر بالمحيط المجتمعي الذي يعيش فيه، والعرب قبل الإسلام في وسط الجزيرة العربية خاصة كانوا على درجة من العزلة، وعدم التواصل مع الأمم الأخرى، مما سمح لهم بالمحافظة على سلائقهم اللغوية صحيحة نقية، ومع نزول القرآن الكريم، ودخول الأعاجم في الإسلام، ومع حركة الفتوح العربية الإسلامية فُـرِضَ على العرب الاحتكاكُ بغيرهم أكثر من ذي قبل، مما كان له الأثر الواضح في فساد سليقة العربي، وأدى إلى انحرافٍ في ممارسة العربية، وهو ما يُعْرَفُ باللحن الذي أخذت بوادره تظهر في ممارسة الناس للغة العربية حتى في قراءة القرآن الكريــــــــــــــم .

ومن هذا القبيل ما يروى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع أحدهم يلحن، فقال **أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلَّ**، ومن ذلك ما يروى من أن **كاتبا لأبي موسى الأشعري قال في خطاب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه(من أبو موسى الأشعري....إلى أمير المؤمنين...) فكتب عمر لأبي موسى(سلام الله عليك، أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخِّــر عطاءه سنة) و يروى أن عمر بن الخطاب مرَّ بقوم يسيئون الرمي، فقرَّعهم ، فقالوا: إنا قوم متعلمين، فأعرض عنهم مُـغْضَباً، ثم قال : والله لخطؤكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم)**.

وقصة لحن ابنة أبي الأسود الدؤلي التي حملته كما يقال على وضع النحو أشهرُ من أن تذكر،بل إن أبا الأسود نفسه كان يدرك معالم اللحن في عصره، فيتحاشاها، ومن هذا القبيل، ما كان شائعا في عصره من قولهم :غليت القدرُ، بالياء، مع أن الصواب : غلتِ القدر، وقولهم لباب الدار : مغلوق، والصواب مُغْلَـق، كما يرى أبو الأسود الذي عبر عن تحاشيه لهذا اللحن شعرا، فقال:

**ولا أقولُ لقدر القوم قد غليتْ ولا أقول لباب الدار مَغْلوْقُ**

ومما يذكر من قصص اللحن في قراءة القرآن الكريم**، أنه جيء إلى عمر بن الخطاب برجل يقرأ في سورة التوبة 9/3 ( وأذانٌ من الله ورسولِه إلى الناس يوم الحجِّ الأكبر *أن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه*) بجر كلمة(رسوله) فسأله، فقال هكذا قرأتُ في المدينة، فقال عمر: ليس هكذا ،إنما هي ورسولُه بالضم، فإن الله لا يبرأ من رسوله ، ثم أمر ألا يُقْــرئ القرآن إلا عالم بالعربية، ودعا بأبي الأسود الدؤلي، فأمره أن يضع النحو[[5]](#footnote-5)** فــفشوُّ اللحن على الألسنة إلى هذه الدرجة إذن من الأسباب التي جعلت القائمين على أمور الشأن العام يتنادون إلى وضع النحو كما سنلاحظ فيما سيأتي.

1. **العناية بالقرآن الكريم وعلومه .**

كان للعناية بالقرآن الكريم وعلومه الأثر الأهم في المبادرة إلى وضع النحو، بل إن البوادر العملية التطبيقية الأولى لعناية الأئمة كابن عباس بتفسير القرآن الكريم،و توسَّعَ الاهتمام بهذا الكتاب، وقراءاته وتفسيره، وتجويده وبلاغته وجمالياته؛ كل ذلك كان له دور بارز في نشأة النحو، وازدهار مختلف علوم العربية التي تُـعَـدُ في كثير من جوانبها امتثالا لقوله تعالى(**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) ولا خلاف في أنَّ أوليات هذا الحفظ إنما هي العناية باللغة العـــــربــيــة .

1. **العامل الحضاري والسياسي**.

يتمثل ذلك باعتزاز العرب بلغتهم، شأنهم في ذلك شأن سائر أمم الأرض، ومن الطبيعي أن يترجم هذا الاعتزازُ عنايةً بلغتهم، ولاسيما في هذه الحقبة التي باتت مواجهةُ العربية فيها لسائر لغات الأمم على أشُدِّها، وذلك بفعل انتشار الإسلام العربيِّ اللسان بين مختلف شعوب الأرض، إضافة إلى أن انتشار الإسلام رافقه كما هو معروف بروز حضارة عربية إسلامية،ولا يخفى ما يستوجب ذلك من عناية بوضع قواعدَ وأصولٍ ومصطلحاتٍ تستجيب لمتطلبات تعريب هذه الدولة في مختلف مرافقها الحياتية من قضاء وإدارة، وفتوح سياسية ودينية، كما تستجيب لتعريب مختلف العلوم الدنيوية والأخروية التي بدأت تزدهر بمعطيات داخلية وخارجية.

1. **العامل الاجتماعي.**

من الطبيعي أن يكون المجتمع الناجم عن الدعوة العالمية إلى الإسلام مجتمعا هجينا من أمم مختلفة الأعراق والألسن، ومن أوليَّات انخراط الأعجمي في مجتمع الدولة العربية الإسلامية الجديدة إتقانٌه لغتها الرسمية ولغة دينها الحنيف، وذلك للاندماج في هذا المجتمع وللتمكن من التواصل الاجتماعي، وللحصول على المناصب المتميزة في هذه الدولة الآخذة بالتوسع والازدهار. وفي ضوء ذلك يغدو من الطبيعي العناية باللغة وتقعيدها لتكون مهيأة لتعلُّـمِ الأعاجم لها، وذلك مما يُـفَـسِّر به بعضهم العنايةَ اللافتة للأعاجم كسيبويه(179هـ) بالنحو العربي درسا و تدريسا وتصنيفا منذ وقت مبكر.

1. **العامل الطبيعي وسنة التطور.**

يتمثل هذا العامل بالحالة الطبيعية التي يقتضيها منطقُ وناموسُ الظواهر الاجتماعية والفكرية، المتمثل برقي العقل العربي ونمو طاقاته الذهنية، فبعد ما أخذ المفسرون الأُوَلُ يتدارسون أساليب القرآن الكريم ودلالاته، ويستحضرون الشعر وكلام العرب تأييدا لمذاهبهم في ذلك أحسَّ العقل العربي وفقا للتطور الحضاري الحتمي بأنه لابد من علم يجرِّد قواعدَ العربية؛ لسانِ هذه الدولة، لذا كان لابد من استقراء معطيات المدوَّنة اللغوية العربية، من قرآن وحديث وشعر ولهجات وأمثال، وذلك لاستخراج القوانين التي تقعِّــد اللغة ، وتمكِّـن المتعلمَ من تعلمها، فكان أن نشأ نحو العربية، فَمَنِ الواضعُ الأولُ لهذا النحو ؟ هذا ما سنعرض له في الفقرة التالية.

**النحو نتاج جيل لا شخص=التفكير في النحو سابق للتصنيف فيه** !

ونستبق ذلك بالقول في ضوء تلك الأسباب التي تفسِّرُ مجتمعة نشأة النحو العربي: إن الراجح هو أن علوم العربية عامة والنحو خاصة نتاجُ حضارة مجتمعية مختلفة التجليات والمظاهر والدوافع والغايات، مما يحمل المرء على الاعتقاد بعدم المشروعية العلمية للقول بنسبة وضع النحو العربي إلى شخص بعينه دون غيره، يؤيد هذا التوجُّهَ التمييزُ بين التفكير في العلم، والتصنيف فيه، فمما لا شك فيه أن التصنيف في أي علم مرحلة تالية لمرحلة التفكير فيه،و التنبيه على ذلك، والتنبه له ضروريان في التأريخ لنشأة أي علم من العلوم، **لأن ذلك يستلزم ألا يكون المصنِّــفُ الأول في العلم هو بالضرورة الواضعَ الحقيقيَّ له**، فمن المعروف مثلاً أن التفكير النحوي عند الهنود سبق بعدة قرون أعمال بانيني لغويِّ الهند الأول الذي ينسب إليه عادة وضع قواعد اللغة السنسكريتية في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد[[6]](#footnote-6).

**ومما يذكر فيما نحن فيه ما يرويه ابن فارس(395هـ) في كتابه(الصاحبي في فقه اللغة)[[7]](#footnote-7) من أن علم النحو قديم، ثم أتت عليه أيامٌ، فقــــلَّ في أيدي الناس، حتى جاء أبو الأسود، فجدَّدَ هذا العلم،** ومع أنَّ هذه الرواية قلما يتوقف عندها مؤرخو النحو العربي، استدل على صحة ما فيها محيي الدين درويش في "إعراب القرآن وبيانه "4/55، بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر كما لاحظنا قبل قليل ألا يُــقْـــرِئَ القرآنَ إلا عالمٌ بالعربية، فقد رجح الدرويش أن المقصود بالعلم بالعربية إنما هو معرفة قواعدها وأصولها، لا مجرد إتقان التحدُّث بها ، لأن العرب في ذلك العصر كانوا جميعا يتكلمون العربية بالسليقة، مما يغدو معه من غير المهم أن يقصر ابن الخطاب إقراء القرآن على العالِمين بالعربية فقط لو لم يكن في ذلك العصر شيوع لعلم العربية، و للمشتغلين في هذا العلم .

**واضع النحو العربي** .

من المسائل التي شغلت المعنيين،واحتدم خلافهم فيها قديما وحديثا تحديد من يُـنْـسَبُ إليه السبقُ إلى وضع النحو العربي، وأبرز من تنسب إليهم هذه الفضيلة **علي بن أبي طالب(ت40هـ) كرَّم الله وجه، وظالم بن عمرو المشهور بأبي الأسود الدؤلي(69هـ)**لذلك سنقتصر في دراسة هذه القضية على الحديث عن الجهود التي نُسِـبَتْ إلى هاتين الشخصيتين فـــــقـــط .

**جهود علي بن أبي طالب(40هـ) في النحو**

**جاء في (نزهة الألـبَّاء)(سبب وضع عليِّ لهذا العلم ما روى أبو الأسود الدؤلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام، فوجدت في يده رقعةً ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إني تأملت كلام العرب، فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء أي" الأعاجم" فأردتُ أن أضع شيئا يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليَّ الرقعة، وفيها : الكلامُ كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى، والفعل ما أُنْبِئ به، والحرف ما أفاد معنى، وقال لي : انحُ هذا النحوَ، وأضف إليه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماءَ ثلاثة؛ ظاهرٌ ومضمرٌ واسمٌ لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر، ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم . قال: ثم وضعتُ بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام، إلى أن وصلتُ إلى باب (إنَّ) وأخواتها ما خلا (لكن) فلما عرضتها على عليٍّ عليه السلام أمرني بضم(لكن) إليها، وكنت كلَّما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه - رضي الله عنه - إلى أن حصَّلتُ ما فيه الكفاية . قال: ما أحسنَ هذا النحوَ الذي نحوتَ ، فلذلك سُمِّي النـــــــــحــــــــوَ**.

**وقد علق بعضهم على الخبر قائلا** : صحيح أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مشهورا بالفصاحة والبيان، وبـُـعْــدِ النظر والغيرة على لغة القرآن الكريم، وسلامة قراءته غير أنه يُسْـتَـبْــعَـدُ أن يصدر عنه مثلُ هذا التعريف الدقيق لأجزاء الكلام ، وهو تعريف لا نجد دقته عند سيبويه(180هـ) بعد مئة عام، إضافة إلى أن انصراف عليٍّ لمعالجة شؤون الحكم والثورات والحروب التي خاضها مدة ولايته لا يسمح له بوضع النحو على إدراكه لخطورة وجلالِ عملٍ كهذا . وقد يصحُّ أنه لفت انتباهه انتشارُ اللحن و الخطأ على الألسنة، وخاصة في قراءة القرآن الكريم، فبحث مع أبي الأسود خطورة هذه الظاهرة ليصل معه إلى ضرورة البحث عن طريقة لوضع بعض القواعد لصيانة اللغة .

والجدير بالذكر أن استبطان هذا الخبر أو اكتناه ما ينطوي عليه قد يكشفان فيه معنى تاريخيا ، ينير الطريق، ويكشف ظلمتها، ويهدي إلى الصواب، مما يشجع على القول بأنه ليس في هذا الخبر سواء أصح أم لم يصح ما يدل على أن عليا هو واضع النحو العربي، فهذا الخبر مفعم بالمفاهيم والمصطلحات النحوية الدقيقة، كذكر أقسام الكلم وتعريفها تعريفاتٍ لا نجد دقة بعضها عند سيبويه بعد قرن من الزمان! لذا يرى بعض الدارسين أن المصطلحات النحوية التي نسبها الرواة إلى أبي الأسود لا تتفق مع طبيعة العصر الذي عاش فيه.

على أنه لو صح هذا الخبر، لما دل أيضا على أن عليا أو أبا الأسود هو واضع النحو العربي، ووجه عدم دلالته على ذلك في هذه الحالة تكمن في غناه أيضا بالمصطلحات العلمية النحوية الدقيقة، وهو غنى يشي باستقرار مصطلحي كما يشي بازدهار علم النحو في أوساط غير مقصورة على أبي الأسود وعليٍّ، مما يشي أيضا بأن التصنيف في النحو على أيديهما مسبوق بمرحلة من التفكير في الدرس النحوي، ذلك أنه من المستبعد كما يقول علي أبو المكارم(أن يولد المصطلح، ويأخذ سبيله إلى التدوين في المؤلفات العلمية دفعة واحدة، بل لا بد من فترة حضانة يتم فيها تداول هذا المصطلح مشافهة بين الباحثين حتى يمكن تقبله عند الدارسين)[[8]](#footnote-8)

وهذا مما يؤيد ويوضح أن السابق إلى التصنيف في النحو العربي ليس من الضروري أن يكون هو أيضا السابق إلى التفكير فيه. كما يؤيد ويوضِّح احتمال أن يكون التفكير اللغوي عامة عند العرب ومنه النحو سابق لعلي وأبي الأسود، و هو ما استدل السيوطي عليه بكتابة المصحف على الوجه الذي يعلله النحاة في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف.

وقد أيد محيي الدين درويش[[9]](#footnote-9) ما يومئ إليه كلام السيوطي من أن عليا وأبا الأسود مسبوقان إلى وضع النحو، فقال" ونحن نؤيد هذا الرأي مستدلين بما يلي:

1. تبيينُ علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي جُمَلا من القواعد الاصطلاحية السابقة، إذْ كونُ ذلك أُلْهِمَه كهذه الضوابط ، فهذا صريح أو كالصريح في أن هذا العلم كان معروفا بينهم أو بين أفراد منهم...
2. قولُ عمر بن الخطاب :**لا يقرئ القرآن إلا عالم بالعربية**، فإن المتبادر من هذا القول إنما هو العلم بالعربية أي بنحوها و قواعدها وأصولها التي بها يُعْرَفُ وجوه الكلام بمعونة المقام...، أي أنه ليس المقصود بالعلم بالعربية مجرد إتقان الكلام بها.
3. كونُ علم العروض واصطلاحاتِه معلوما لدى بعض العرب، كما صرح به الوليد بن المغيرة ، إذ قال في القرآن لمَّا قيل إنه شعر : **لقد عرضتُـه على هَـزَجِـه ورجــزِه فلم أره يشبه شيئا من ذلك، والشعر لم يكن إلا لأفراد من العرب، فلأن تكون قواعد العربية التي هي لسانهم جميعا معلومة عند البعض أولى.**

وبعد ففي ضوء ما تقدم لا نستبعد أن تكون نشأة النحو العربي سابقة لعصر علي وأبي الأسود، وهو ما لم يستبعده أيضا استاذنا المرحوم الدكتور عبد الإله نبهان[[10]](#footnote-10) بناء على ما ذكرناه من قبل عن ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)

**جهود أبي الأسود الدؤلي (69هـ) في النحو**

اتفقت المصادر على أن أبا الأسود قد حَــقَّــقَ أعمالا ثلاثة جعلــتْــه عند بعضهم الواضعَ الحقيقي للنحو العربي، وهذه الأعمال هي نقْـطُ القرآن نقْـط َ إعراب ، ووضعُه صحيفةً، فيها بعض أبواب النحو، وعملُه الملحوظ في تعليم النحو تعليما أنجب علماء الطبقة الأولى في النحو العربي عامة، وفي المذهب البصري خاصة، وفيما يلي إلقاء الضوء على هذه الأعمال الثلاثة التي تنسبها المصادر إلى أبي الأسود الدؤلي .

1. **نقطه القرآن نقط إعراب.**

تفيد المصادر أن أحد ولاة الأمر في عصر أبي الأسود كلَّفه نقطَ القرآن الكريم نقط إعراب، وقد اختلفت المصادر في تحديد الشخص الذي كلف أبا الأسود هذه المهمة ، فقيل: إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه(23هـ) وقيل: إنه علي بن أبي طالب(40هـ )كرم الله وجهه كما قيل: إنه زياد بن أبيه (53هـ) والي البصرة زمن معاوية . والسبب المباشر لهذا التكليف أنه سُمِع قارئ يقرأ قوله تعالى في سورة التوبة9/3: ( **وأذانٌ من الله ورسولِه إلى الناس يوم الحجِّ الأكبر أن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه )** بكسر كلمة (رسولِه) الثانية لتوهم عطفه على (المشركين) وفي ذلك ما فيه من الخطورة على قراءة القرآن وتفسيره وفهمه، **لذا بدأ أبو الأسود كما تذكر المصادر بنقط القرآن نقط َإعراب، فاختار رجلا من عبد القيس ، فقال له : خذِ المصحفَ وصبغا يخالف لونَ المِداد، فإنْ فتحتُ شفتيَّ فانقط واحدة فوق الحرف، وإن ضممتُهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، ثم ابتدأ أبو الأسود بالمصحف على هذا النحو حتى أتى على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك** .

ومما يستفاد من هذا الخبر أمران ؛**أولهما** أن كلمة(إعراب) في هذا الخبر غدت مصطلحا ثابتا في علم النحو فيما بعد، وكان يقصد بها الإبانة والتوضيح وإزالة اللبس، لأن معرفة ضبط الكلمة ولاسيما حركة آخرها تؤدي إلى معرفة معناها النحوي التركيبي، ومفهومُ مصطلح الإعراب في النحو عامة لا يخرج عن هذا المعنى . **وثانيهما** أن أبا الأسود قــدَّمَ في هذا النص مصطلحاتٍ أخرى ستكون فيما بعد أساسية في علم النحو، فالخليل(175هـ) استوحى من وصف أبي الأسود لشفتيه بالفتح والضم والكسر مصطلحاتِ الفتحة والضمة والكسرة عندما وضع رموزَها الكتابية المتداولة إلى يوم الناس هذا، وذلك بعد أن نقط نصر بن عاصم الليثي(89هـ) بأمر من الحجاج القرآن نقطَ إعجام ، مما أدى إلى التباس نقطي الإعراب والإعجام أحدهما بالآخر كما أدى إلى ازدحام نظام الكتابة العربية بالنقط ، فَـــمُـــيِّـــزَ أحدهما من الآخر بابتداع الخليل رموزاً كتابية خاصة بالعلامات الإعرابية من فتح وضم وكسر .

1. **صحيفة أبي الأسود .**

تنسب المصادر إلى أبي الأسود ما يعرف بصحيفة أبي الأسود، وهي صحيفة، فيها بعض أبواب النحو، كالفاعل والمفعول والمضاف إليه والتعجب وحروف الجر والنصب، **فقد ذكر ابن النديم في " الفهرست " خبرا يقول فيه: رأيتُ ما يدل على أن النحو عن أبي الأسود ما هذه حكايته، وهي أربع ورقات ، أحسبها من ورق الصين ، فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود رحمه الله بخط يحيى بن يعمر .**

وقد شكَّ بعض الدارسين في صحة هذا الخبر، وما يوحي به من انفراد أبي الأسود في وضع النحو العربي،وذلك بحجج متعددة، منها ما ذكرناه قبل قليل من غنى واستقرار في المصطلح النحوي، ومنها أن وضع أبواب كاملة في النحو كباب الفاعل والمفعول**،** والعطف والنعت، والتعجب والاستفهام، و(إنَّ) وأخواتها ضرب من الاستنباط القائم على تحليل النصوص وتجريد القواعد منها، وهذا يحتاج إلى جمع نصوص اللغة ،وتصنيفها واستقرائها، وهو ما لم يكن قد بدأ بعد، فبوادر رحلة العلماء إلى البوادي وجمع اللغة وتصنيفها بدأت كما سنلاحظ مع أبي عمر بن العلاء(154هـ).

ويرى آخرون أنه إذا كان بإمكان أبي الأسود أن يفعل ما نُسِبَ إليه من نقط للقرآن نقطَ إعرابٍ فمن الممكن أيضا أن يفعل ما يُنْـسَبُ إليه في هذه الصحيفة، فإعرابه القرآن، وتمييزه بين الحركات في أواخر الكلمات يمكن أن يلفتا نظره إلى المواضع التي تطَّرِدُ فيها كل واحدة من هذه الحركات، وأن يلاحِظ العوامل التي تسبق الكلمة لتؤدي بها إلى الفتحة أو الضمة أو الكسرة ، ويشجع على القول بذلك عند صاحب هذا الرأي ما عُـرِف عن أبي الأسود من سعة الاطلاع وعمق النظرة وحدة الذكاء والاهتمام الشديد باللغة، وقد وصفه غير مصدر بأنه معدود في طبقات من الناس، وهو فيها كلها مـقــدُّمٌ ، ومأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها، فقد كان معدودا في التابعين والفقهاء والمحدِّثين والشعراء والأمراء والدُّهاة والنحويين و الحاضري الجواب. وليس أدل على ذلك من تكليفه نـقْــط المصحف مع وجود غيره من الفصحاء والفضلاء .

**ج- تعليم أبي الأسود للنحو**.

كان لأبي الأسود حلْقة يدرِّس فيها اللغة والنحو، واشتُـهـِرَ من تلامذته علماء، كوَّنوا الطبقة الأولى في المدرسة البصرية، بل كان لهم أثر في نشأة النحو الكوفي، يروي ابن الجزري(ت833هـ)لأحد قراء الكوفة قولَه **(قلتُ لزهير الفرقبي بمكة : أنَّى لك النحو ؟ فقال سمعناه من أصحاب أبي الأسود، فأخذناه)** والفرقبي هذا نحوي كوفي تتلمذ على تلامذة أبي الأسود، ولا سيما ميمون الأقرن، وهو- أي الفرقبي - أستاذ أبي جعفر الرؤاسي[[11]](#footnote-11)؛ رائد المدرسة الكوفية على ما سنرى فيما سيأتي. أما أعلام الطبقة الأولى من طبقات النحو العربي عامة ، والنحو البصري خاصة فنعرض لبعض أخبارهم فيما يلي

**الطبقة النحوية البصرية الأولى**

1-نصر بن عاصم الليثي(89هـ ) 2- عنبسة بن معدان(100هـ)3- عبد الرحمن بن هرمز(117هـ)4- يحيى بن يعمر (129هـ،أوقبل 90هـ) 5- ميمون الأقرن .

والملاحظ أنه **لم يشتهر عن أحد من هؤلاء التصنيفُ في هذا العلم**، مع أن بعض كتب التراجم تنسب إلى كلٍّ منهم فضلَ السبق إلى وضع النحو العربي، والراجح أن أهمية هذه الطبقة تكمن في عملها في تعليم النحو تعليما أنجب كما سنرى أعلام الطبقة الثانية في النحو البصري، وفيما يلي نبذة عن أبرز نشاطات أشهر تلامذة أبي الأســـــــــود :

1. **نصر بن عاصم الليثي(89هـ)**

كان مشهورا بالقراءات القرآنية، وبالنحو، وأخذ عنه مشاهير النحاة كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(117هـ) وأبي عمرو بن العلاء (154هـ) **وأبرز مآثر نصر بن عاصم هذا نقطُه المصحف بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي(95هـ) نقطَ إعجام** ، وذلك بغرض التمييز بين الأحرف المتشابهة في حال عدم الإعجام كـ(د، ذ) و (ر، ز) و (ب، ت، ث) و(ج، ح، خ)**،** وتذكر بعض المصادر كياقوت الحموي في معجمه، والسيوطي في البغية أن لنصر بن عاصم كتابا في العربية، ولكن لم تسمه.

**2-يحيى بن يعمر(129هـ)**

كان معنيا بالحديث النبوي، وأبرز ما يُنْــسَـبُ إليه فيما نحن فيه ثلاثة أمور؛ التصنيف في النحو، وتعليم النحو ، والحرص على سلامة اللغة على ألسنة الناس، وفيما يلي إيجاز القول في هذه الأمور :

1. **التصنيف النحوي** عند بن يعمر(129هـ) يقال إنه زاد على أبواب النحو التي وضعها أستاذه أبو الأسود من قبل، ويروى أنه نظر فيما صنف من النحو،فوجد أن بعض كلام العرب لا يدخل فيه، فأقصر عن صياغة قواعد النحو.
2. **تعليم ابن يعمر للنحو.** شُغِـلَ ابن يعمر بتعليم النحو، وأبرز من تتلمذ على يديه **عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(117هـ)**
3. **حرص ابن يعمر على سلامة اللغة.**اشتهر في زمانه بمعارفه النحوية، والاهتمام بسلامة اللغة، ومن طريف ما يروى عنه في هذا السياق أن **الحجاج بن يوسف الثقفي سأله : أتسمعني ألحنُ ؟ فأجابه : الأميرُ أفصحُ الناس، ثم كرَّرَ عليه السؤال، فقال ابن يعمر : تلحنُ بحرف، قال الحجاج: أين ؟ قال ابن** يعمر: في القرآن ، قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال في قوله تعالى..... قال الحجاج : لا جرمَ، لن تسمع لي لحنا أبدا، وبعدها نفى الحجاجُ ابنَ يعمر، فألحقه بخراسان .

وبذا يتضح أن من مآثر أعلام الطبقة الأولى في النحو البصري أنه تتلمذ عليهم أعلام الطبقة الثانية من هذا النحو، وفيما يلي نبذة عن أبرز أعلام هذه الطبقة :

**الطبقة النحوية البصرية الثانية**

1. **عـــبــد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (117هـ)2- عيسى بن عمر الثقفي(149هـ) 3- أبـو عــمـرو بن الـعــلاء(154هـ)**

**عـــبــد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (117هـ)**

يُعَــدُّ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بداية للمنهج القائم في درس النحو على طرد القياس بمعنى القاعدة، وقد تجلَّـت معالم ذلك لديه في أمرين اثنين، هما حرصه على طرد القياس بمعنى القاعدة النحوية، واعتراضه على الفصحاء وتلحينه لهم، وفيما يلي عرض لهذين الأمرين:

1. **طرد الحضرمي للقاعدة النحوية** .

لوحظ منذ القديم على الحضرمي النزعة المعيارية القياسية الصارمة، **لذا وصفه ابن سلام في طبقات فحول الشعراء بأنه( أول من بعَـــجَ النحو ومدَّ القياس والعلل) أي أول من** انتهج طريقا واضحة في تناول نحو العربية، وجعل ما انتهى إليه من الأقيسة النحوية قواعد يلزم الناسَ بها ، ويدعو أئمة العربية إلى تجريدها والعناية بها، إذْ يُــرْوَى أن **يونس بن حبيب(185هـ) سأله مرة : هل يقول أحدٌ الصويق بدلا من السويق[[12]](#footnote-12) ؟ فقال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد، وينقاس. يريد** الحضرمي من يونس أن يُعْـنى بدراسة جوانب من اللغة قابلة لأن تجرد قواعدها المطردة والتي يلزم الناس باتباعها في ممارسة اللغة العربية، ولا يشجعه على دراسة مسائل لغوية لهجية يُـقْـتَصَر فيها على السماع لعدم قابليتها للتقعيد والتقنين. وبذلك يكون الحضرمي هو الذي وضع للمدرسة البصرية أبرز دعائمها، أي القواعد النحوية المستخلصة من استقراء كلام العرب، والمؤهَّلة في الوقت نفسه للاعتراض بها على بعض كلامهم، وهذا مبدأ سيستمر بوضوح لافت عند عيسى بن عمر الثقفي(149هـ) كما سنلاحظ فيما سيأتي

1. **تلحين الحضرمي للفصحاء**.

تذكر المصادر كثرة اعتراض الحضرمي على الفرزدق، فقد كان يعــمــد إلى محاسبته مستندا إلى ما وضعه من قواعد و مقاييس، ومن ذلك اعتراضه على قولــــه :

**مستقبلين شَمالَ الشامِ تضربنا بحاصبٍ كنديفِ القطن منثورِ**

**عــلى عمائمنا يُلْقى وأرحلُنا على زواحفَ تُزْجَى مخُّها ريــرِ**[[13]](#footnote-13)

فقال ابن أبي إسحاق أخطأتَ، إنما هي: ريرُ، **وكذلك قياس النحو** في هذا الموضع، يريد الحضرمي بمصطلح القياس القاعدة النحوية، فالقاعدة توجب رفع خبر المبتدأ، لذا خطأ الفرزدق، في جرِّه(ريرِ) مع أنه خبر للمبتدأ (مخُّها) كما اعترض ابن أبي إسحاق على الفرزدق أيضا في قوله :

**وعضُّ زمان يا ابن مروان لم يدعْ من المال إلا مُسْحَتا أو مجلَّفُ[[14]](#footnote-14)**

قال: علامَ رفعْتَ (مجلَّفُ) ؟ فأجابه الفرزدق : على ما يسوءك و ينوءك،عليْنا أن نقول وعليكم أن تتأولوا، ثم هجاه قائلا:

**فلو كان عبدُ الله مولىً هجوتُه ولكن عبدَ الله مولى مواليا[[15]](#footnote-15)**

فقال له الحضرميُّ :أردت أن تهجوني، فلحنتَ أيضا، والصواب مولى موالٍ. فهذه المواقف من الحضرمي تدل على استقرار المقاييس والقواعد النحوية عنده ، وكأن النحو استقام بناؤه لديه حتى غدا قادرا أن يحكم من خلاله على فصحاء كالفرزدق الذي وُصِفَ بأن شعره يشكل ثلث متن اللـغــــــة العربية .

**عيسى بن عمر الثقفي(149هـ)**

أبرز ما يسجل لعيسى بن عمر ثلاثة أمـــور؛ عنايته بالتصنيف في النحو، وتلحينه الفصحاء، والعمل بالكثير من كلام العرب، وفيما يلي إيجاز القول في ثلاثة الأمور هذه:

1. **التصنيف النحوي عند ابن عمر**(149هـ).هو أول من صنَّف في النحو العربي البصري،فتذكر له المصادر كتابين في النحو ، هما **(الجـــامع) و( الإكـــمــال)** وقد أثنى عليهما الخليل في قوله :

**بطل النحو جميعا كلُّه غيرَ ما أحدث عيسى بنُ عمر**

**ذاك إكــــمالٌ وهذا جامع فهما للناس شمسٌ وقـــمر**

1. **تلحين ابن عمر للفصحاء**.

تابع عيسى بنُ عمر عبدَ الله بن أبي إسحاق الحضرمي في تلحين بعض الفصحاء فيما خالفوا فيه القواعد، **إذ يروى أن ابن عمر خطأ النابغة الذبياني** في رفع(ناقِع) من قوله :

**فبتُّ كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقْـشِ في أنيابها السمُّ ناقعُ[[16]](#footnote-16)**

قال ابن عمر: **موضعها ناقعاً، بالنصب، لأن الإسناد قد تم في قوله : في أنيابها السُّمُّ** . يريد أن الجملة استوفت ركنيها الأساسيين؛ المسند إليه أي : المبتدأ المتأخر، وهو(السمُّ) والمسند، أي الخبر، وهو شبه الجملة (في أنابها) أو متعلق شبه الجملة، مما يعني أن (ناقع) فضلة لا ركن أساسي في هذه الجملة، لذا زعم ابن عمر أنه كان على النابغة أن ينصب، فيقول (ناقعا)

1. **العمل بالكثير المطرد في كلام العرب**.

يبدو أن ابن عمر أدرك فيما بعد أن القاعدة اللغوية مهما أوتيت من الحذر و الشمول في استقراء الكلام فليس بإمكانها أن تستوعب كلَّ ما سُمِع من كلام العرب، وهذا ما يفهم مما **رواه القِفْطي في "إنباه الرواة "من أن عيسى بن عمر وضع كتابه على الأكثر و سمَّى ما شـــــذَّ عن الأكثر لغاتٍ**، والجدير الذكر أن ابن عمر كان له أثر في كتاب سيبويه، فـقــد ذُكِـرَ فيه اثنتين وعشرين مرة .

**أبو عمرو بن العلاء(154هـ)**

هو أبرز نحويي الطبقة الثانية من نحاة البصرة، وأبرز ما يُسَجَّــلُ له فيما نحن فيه ثلاثة أمور؛ رحلته إلى البادية وأخذه اللغة من منابعها الأصلية، والتصنيف في النحو، والعمل بالكثير المطرد في كلام العرب، وفيما يلي إيجاز لهذه الأمور:

1. **رحلة أبي عمرو إلى البادية** .

فاق أبو عمرو سابقيه بسعة معارفه اللغوية، وبكثرة رحيله إلى البادية، وغنى محفوظه من الشعر الجاهلي، حتى **قال فيه الأصمعي: صَحِبْتُ أبا عمرو كذا سنةً، فما سمعته يحتجُّ ببيت إسلامي**، وقد كان أثره في كتاب سيبويه أبرز من أثر سابقيه ،لذا تردَّد ذكره في الكتاب أربعا وأربعين مرة .

1. **تصنيف أبي عمرو في النحو**(154هـ)ألَّـــف أبو عمرو كثيرا من المصنفات في اللغة والنحو والقراءات حتى ملأت بيته إلى السقف، **لكنه أحرقها في آخر حياته لورعه وزهده**، خشية أن يكون فيها خطأ، يأثم عليه في الدنيا أو في الآخرة
2. **العمل بالكثير المطرد في كلام العرب**

تابع أبو عمر بن العلاء عيسى بنَ عمر في منهجه المتمثل بالقياس على الكثير المطرد في كلام العرب، وجعل ما خالف هذا الكثيرَ لغاتٍ خاصة، تٌحْفَظُ ولا يقاس عليها، **فقد أورد الزَبيدي في " طبقاته" قول ابن نوفل : سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمَّا وضعتَ مما سميتَـه عربية أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال لا . فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجة ؟ قال أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات.**

وبحديثنا عن أبي عمرو بن العلاء ينتهي حديثنا عن الطبقة الثانية من نحاة البصرة، وتبدأ طبقة جديدة من نحاتها، وهــــــي الطبقة الثالثة. والجدير بالذكر أنه حتى انقضاء عهد الطبقة الثانية من نحاة المدرسة البصرية ظلت هذه المدرسة متفردة بالدرس النحوي، وبذلك تكون قد سبقت الكوفةَ في هذا العلم بقرابة قرن، وقد بدأت بوادر المدرسة الكوفية بالظهور معاصرة لأعلام الطبقة الثالثة من المدرسة البصرية ، وهذه أعلامها

**الطبقة البصرية النحوية الثالثة**

**1-أبوالخطاب الأخفش الأكبر(177هـ) 2-الخليل بن أحمد الفــــــــراهيـــدي(175)هـ3- سيبويه(180هـ) 4- يونس بن حبيب(185هـ)** ولن نتحدث عن أحد من هؤلاء الأعلام مكتفين بما تقدم من الحديث عن نشأة النحو، ولاسيما المدرسة البصرية ، التي سنتحدث عن بعض مزاياها في معرض الحديث التالي عن المدارس النحوية في النحو العربي عامة

**المدارس النحـــوية**

من القضايا التي شغلت الدرس النحوي في التأريخ للنحو العربي قديما حديثا ما به من مذاهب أو مدراس بالمصطلح الحديث، فقد اختلف المعنيون في عدد هذه المدارس، وذلك لاختلافهم في مفهوم المدرسة الفكرية المتميزة عن سواها، أو المذهب المتميز عن غيره، على أن جمهور المعنيين بالنحو العربي في القديم والحديث لا يختلفون في وجود مذهبين أساسيين في هذا النحو، هما المذهب البصري والمذهب الكوفي، وإنْ زِيـــْــد على تينك المدرستين عند فريق من الدارسين كما سيتبين بعد قليل، أمَّا الآن فيبدو من المناسب أن نوجز القول في السياق الثقافي العام الذي هيَّأ للبصرة أن تكون ميدانا للسبق إلى وضع النحو العربي ، كما نوجز القول فيما جعل الكوفة تتأخر عن ركب البصرة في هذا الميدان، وذلك على النحـــو التالــــي :

**البصرة الحاضنة الأولى للنحو** .

رعت البصرة النشأة الأولى للنحو، فاحتضنته وحدها مدة قرن قبل أن تشاركها الكوفة في ذلك،فأول معالم الدرس النحوي في الكوفة كما سنرى ظهرت ممثلة بأبي جعفر الرُّؤاسي(185هـ)وأبي مُعاذ الهراء(187هـ) وهما يعاصران كما هو واضح نحاة الطبقة الثالثة من نحاة البصرة كالخليل(175هـ) وسيبويه(180هـ) علما أن بوادر التصنيف النحوي الأولى في البصرة ظهرت من قبل عند بعضهم على يد على بن أبي طالب(40هـ) كرَّم الله وجهه، أو أبي الأسود الدؤلي(69هـ) **ويشير ابن النديم في الفهرست إلى أوليَّة البصرة في وضع النحو، فيقول(إنما قــــدَّمْنا البصريين أولاً لأن علم العربية عنهم أُخِــــذ)** وسنلاحظ أن أعلاما من الكوفيين أخذوا النحو عن البصريين، ومن أسباب سبق البصرة إلى وضع النحو عند الدارسين ما يلـــــــي :

**1-الموقع الجغرافي للبصرة .**

فمن المعروف أن البصرة تقع في الأطراف الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، فهي أقرب مُـــدُن العراق الثلاث؛البصرة والكوفة وبغداد إلى العرب الأقحاح في بوادي نجد غربا، وفي البحرين جنوبا، وهذا ما ساعد علماء البصرة على أن يجمعوا اللغة الفصيحة الحية دون مَشاقِّ السفر المُلْقاة على عاتق العالم البغدادي أو الكوفي الذي يريد الارتحال إلى البادية ليأخذ اللغة من مواطنها الأصلية

**2-الاحتكاك بالعنصر الأجنبي.**

مفاد ذلك أن البصرة كانت مرفأ للعراق على خليج العرب، وقد أتاح ذلك لعلمائها فرصة الاحتكاك بعناصر ثقافية أجنبية مختلفة، مَهَّــدَت لأن يظهر في البصرة قبل غيرها علوم عقلية عـــدة، ومنها النحو، و الجدير بالذكر أن أصحاب هذا الرأي يقرون عمليا بتأثر النحو العربي بعلوم الأمم السابقة منذ نشأته .

**3-انصراف الكوفة إلى غير النحو من العلوم.**

من المعروف أن عناية الكوفة الأولى في بداية الأمر انصبَّت على القراءات القرآنية، وعلى الفقه، ورواية الأخبار والشعر، ومن المعروف أيضا عــدمُ عناية الكوفة في البداية بالنحو إلا ما تسرَّب منه إليها من البصرة ، وقد استمرَّتْ هذه الحال تقريبا حتى منتصف القرن الثاني للهجرة . وهذا يعني أن مدرسة البصرة النحوية كانت قد ترسًّخت أصولها وأسُسُها على يد أعلام طبقاتها الثلاث الأولى عندما بدأت المدرسة الكوفية بالظهور خجولة بسيطة على يد أبي جعفر الرؤاسي(185هـ) وأبي مسلم الهرَّاء(187هـ) ثم ظهرت معالم هذه المدرسة كما سنرى أعلاما ومصطلحاتٍ وأصولاً بفضل علي بن حمزة الكسائي(189هـ) وأبي زكريا الفراء(207هـ) .

**الكوفة المدرسة النحوية الثانية**.

شُغِلتِ الكوفة إذن عن الدرس النحوي حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بقراءات القرآن الكريم، وبالفقه ورواية الشعر والأخبار، لذلك تأخَّـر الظهور الحقيقي للنحوي الكوفي حتى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وإن ذكرت كتب التراجم كوفيين تتلمذوا على يد أبي الأسود(68هـ) وتلامذته[[17]](#footnote-17)، على أن ذلك لا ينفي أن الريادة في النحو الكوفي تنسب إلى أبي جعفر الرؤاسي(185هـ) وأبي مسلم الهراء(187هـ) اللذين **أبرز ما يسجل لهما فيما نحن فيه اشتغالهما بتعليم النحو**، وفيما يلي نبذة عن كل منهما .

1. **أبو جعفر الرؤاسي(185هـ)**

تكاد المصادر تجمع[[18]](#footnote-18) أن الجذور الأولى للمدرسة الكوفية ظهرت على يد الرؤاسي(185هـ) وهو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي،وقيل: إنما لقب بالرؤاسي لأنه كان كبير الرأس، وقيل لغير ذلك ،وقد جعله الزبيدي في طبقاته من نحاة الطبقة النحوية الكوفية الأولى، نشأ الرؤاسي في الكوفة، وذهب إلى البصرة ، فأخذ النحو عن عيسى بن عمر(149هـ) وعن أبي عمرو بن العلاء(154هـ) ثم عاد إلى الكوفة فاشتغل في النحو تعليماً وتصنيفاً، فدرس على يديه شيخا المدرسة الكوفية الكسائي(189هـ)والفراء (207هـ) **وتنسُب له المصادرُ عددا من المصنفات[[19]](#footnote-19)، وأبرزها كتابُ(الفيصل في النحو)**الذي تذكر الروايات أن سيبويه وقف عليه،ونقل مـــنـــه.كما يذكر الزبيدي أن للرؤاسي كتابا في الجمع والإفراد، وتذكر المصادر أيضا[[20]](#footnote-20) أن الخليل بن أحمد أفاد مما ألف الرؤاسي في النحوي، و ما يعنينا في هذا الموجز أن الرؤاسي كان من الرواد المؤسسين في النحو الكوفي، فقد كان الكسائي(189هـ) على خلافه مع أستاذه هذا يقول: ما وجدتُ بالكوفة أحدا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي، كما يقول: كنت آخذ المسائل، فأقدمها وأؤخرها، فلا يحسنها أحد إلا الرؤاسي.

**2-أبو مسلم الهرَّاء(187هـ)**

هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهرَّاء(187هـ) اشتغل بتجارة الثياب الهروية ، لذلك سُمِّي الهرَّاء، كما اشتغل برواية الحديث والقراءات القرآنية، والنحو والصرف، وتجعله بعض المصادر من ذوي المصنفات النحوية مع أنها لا تنسب إليه أي عنوان في هذا الباب ، **كما تذكر بعض المصادر أيضا عنايته بالصرف والأبنية حتى زعم السيوطي(911هـ)أن الهراء واضعُ علم الصرف، ويبدو أن الثابت هو اشتغاله بتعليم علوم العربية** ، وأن الفراء(207هـ) أخذ عنه ذلك.

**في مفهوم المدرسة النحوية .**

اختلف المعنيون في عدد مدارس النحو العربي، وذلك لاختلافهم في تحديد مفهوم المدرسة، أو المذهب الفكري في هذا العلم أو ذاك، والذي نميل إليه أن التوزُّع الجغرافي للعلماء لا يكفي وحده لجعل كل إقليم من الأقاليم ممثلاً لمدرسة فكرية مستقلة، مما يسمح بالقول كما يرى بعضهم بوجود مدارس نحوية بصرية وكوفية وبغدادية ومصرية وأندلسية وشامية، والراجح أن الذي يُسَوِّغُ القول بوجود مدرسة فكرية مستقلة هو اشتراك أعلامها إلى حدِّ ما بغض النظر عن انتماءاتهم الإقليمية في الأصول العامة التي يعتمدونها في دراستهم للعلم الذي يشتغلون به، وفي المصطلحات العلمية التي يستعملونها في التعبير عن مفهومات هذا العلم، وفي الأحكام والقواعد والنتائج التي يصدرون عنها، ويتوصلون إليها، ومن الطبيعي في ضوء ذلك أن نجد أعلام المدرسة الواحدة منتشرين في أصقاع مختلفة، وبهدي من هذا المفهوم للمدرسة الفكرية أو النحوية سننظر في مسألة المدرسيِّة، والمذاهب في تاريخ النحو العربي.

**مدارس النحو العربي**

اختلف الدارسون كما قلنا في عدد مدارس النحو العربي، فهي لدى بعضهم **ست؛ البصرية، والكوفية، والبغدادية، والمصرية، والأندلسية، والشامية،** واقتصر المرحوم أحمد راتب النفاخ فيما رُوِي عنه على المدرسة البصرية فقط جاعلا المدرسة الكوفية حاشية على المدرسة البصرية، ويرى آخرون أن الكوفيين لم يكونوا يشكلون مدرسة نحوية تتميز بأسلوبها الخاص ومنهجها الذاتي، وذلك كما يرى هؤلاء لأن الكوفيين لم يخرجوا على منهج المدرسة البصرية في دراسة النحو ، فالبصريون والكوفيون يتحركون في إطارات متشابهات، ويطبقون أصولا واحدة، وإن اختلفوا فيما بينهم في بعض الجزئيات فإنه اختلاف لا ينفي عنهم وحدة المنهج واتفاق الأصول[[21]](#footnote-21)، ويرى جوناثان أوين أن هناك كثيرا من القضايا المهمة التي تشترك فيها المدارس المبكرة .. وأن الخلاف بين البصريين والكوفيين لا يمكن أن يكوِّن منهما مدرستين مختلفتين،[[22]](#footnote-22)، لذا ينفي علي أبو المكارم أن يكون في النحو العربي مدارس بالمعنى الاصطلاحي لكلمة مدرسة، فيقول " المنهج الذي سارتْ فيه الدراسة النحوية واحد في مدنه المختلفة، تحكمه قواعد عامة لم يخرج عليها، وإن تفاوت تأثير بعضها، وإذا فليست هناك مدارس بالمعنى الذي يعني وجود منهج مميز لكل منها في النحو، وإنما هناك تجمعات مدنية نسبة إلى المدن، وهذه التجمعات تتحرك في إطار تبعا لمنهج التزمته دون تغيُّـر جذري فيه، وإن اختلفت فيما بينها في بعض الجزئيات اختلافا لا ينفي عنها وحدة المنهج"[[23]](#footnote-23)

و لعل الأقرب إلى الواقع هو الإقرارُ بوجود مدرستين اثنتين، البصرية ومنافستها الكوفية، وكل من جاء بعدهما أقام درسَــــــه للنحو على الخلط بين هاتين المدرستين والاختيار من آرائهما، مع أرجحية واضحة على مرِّ التاريخ للمدرسة البصرية على المدرسة الكوفية، إضافة إلى الاجتهادات الشخصية التي قد تصـــدر في هذا العصر أو ذاك عن هذا النحوي أو ذاك، وهذا ما ينطبق مثلا على أبي علي الفارسي(377هـ) وابن جني(392هـ) والزمخشري(538هـ)وابن يعيش(634هـ) وأبي حيان الأندلسي(745هـ) وابن هشام الأنصاري(761هـ)على أنه كما قلنا يغلب على جمهور النحو العربي معطيات المدرسة البصرية، لأن أعلامها كما لاحظنا هم السبَّاقون إلى وضع هذا النحو أصولا ومصطلحاتٍ ومفاهيمَ وقواعدَ وأحكاما، والراجح في ضوء ما تقدم أنَّ ما يُــسَـــمَّـى بالمدرسة البغدادية أو الأندلسية أو المصرية أو الشامية وغيرها لم يتميز أيٌّ منها بحد أدنى من الخصوصية في الأصول والأحكام والقواعد والمصطلحات والمفاهيم، مما لا يسمح بجعل إحداها مدرسة مستقلة في تاريخ النحو العربي، لذلك سيقتصر حديثنا فيما يلي على مدرستي البصرة والكوفة لبيان شيء مما تميزت به كلٌّ منهــمــا من حيث **ما يلي: أولا** المــصطلحــــات العـلمـية . **ثانيا :**الأصــول العــامـــــــة**. ثالثا:** القــــواعـــد والأحـــكام.

**أولا : المصطلح عند البصريين والكوفيين**

من مظاهر الاختلاف والاستقلالية بين المذاهب الفكرية الاختلافُ في المصطلحات المستعملة في التعبير عن المفاهيم، لأن المصطلح في العلوم الإنسانية خاصة ليس بريئا، بل غالبا ما يعكس موقفا ما، أو خصوصية دلالية ثقافية أو فكرية أو عقدية، أو سياسية يحرص صاحب المذهب أو المدرسة على إظهار اتسامه بها، تمييزا لنفسه عن غيره، ورغبة في نشر ما يحرص على نشره من المبادئ والأصول والمقولات، وفيما يلي مقارنة تبيِّن الخصوصية المصطلحية لكل من المدرستين البصرية والكوفية.

والجدير بالذكر أن نسبة بعض هذه المصطلحات إلى الكوفيين خاصة لا تعني بالضرورة أن البصريين لم يستعملوه من قبل، بل تعني[[24]](#footnote-24) أن الكوفيين هم الذين شهروه باستعمالهم إياه، ذلك أن أعلام الكوفيين كما هو معلوم أخذوا النحو عن البصريين، فقد يحدث أن يكون الكوفيون قد أخذوا عن البصريين بعض مصطلحاتهم التي استعملوها للوهلة الأولى ثم هجروها، فشُهِـرَتْ فيما بعد باستعمال الكوفيين لها على أنها من المصطلحات الخاصة بهم، ومن هذا القبيل مثلا مصطلحا(التفسير) و(المفسِّر) مرادا بهما التمييز والمميز عند البصريين، فهما أي التفسير والمفسر ليسا من المصطلحات الكوفية، لكن الظاهر أن البصريين هجروهما، وتخففوا من استعمالهما، ولزموا غيرهما، بينما أكثر الكوفيون من تداولهما، حتى شاعا في مصنفاتهم، فخُيَّل للناس أنهما مصطلحان كوفيان)[[25]](#footnote-25)

**أ-المصطلح البصري ب- المصطلح الكوفي**

1- البدل. الترجمــــــــــــــــــــــة

2- المنصرف وغير المنصرف. ما يجري وما لا يجري.

3- العطف. 0 النَّسـَــــــــــــــــــــــــق

4- واو المعية واو الصَّــــــــــــــرف.

5- ضمير الشأن ضمـــير المجــهـــــول.

6- حروف الجر حروف الإضافة أوحروف الصفة.

7- الظرف المَـــحَـــــــــــــــــــــــلّ.

8- لام الابتداء لام القســــــــــــــــــــــم.

9- اسم الفاعل الفعل الدائــــــــــــــــــــم.

10- حروف المعاني الـــــــــــــــــــــــــــأدوات.

11- ضمير الفصل ضمير العـِـــــــمــــــــــــاد

12- الادِّغام الإدْغـــــــــــــــــــــــــــــام

13- الزيادة الصِّـــــلـــــــــــــــــــــــــة

14- النفي الجَـــحْــــــــــــــــــــــــــد.

15- الضمير الكنـــــايـــــــــــــــــــــــة.

16- الجزم بجواب الشرط الجزم بجـــــــواب الطلب

**ثانيا: الأصول النحوية العامة عند كل البصريين والكوفيين**

يُــفَــرَّق في الدرس النحوي بين مصطلَحَــيْ (أصول النحو) و(علم أصول النحو)فالمراد بأصول النحو القواعد والأحكام النحوية التي يراعيها المتحدث باللغة العربية، ومما يظهر فيه استعمالُ مصطلح (أصول النحو) بهذا المعنى كتاب (الأصول في النحو) لابن السراج(316هـ) أما مصطلح علم أصول النحو، فالمراد به العلم الذي يعنى بالأصول العامة التي عوَّل عليها النحاة في توصُّلهم إلى ما وضعوه من القواعـــد والأحكام التي يراعيها المتحدث بالعربية، وأصول علم أصول النحو هي السماع والقياس، واستصحاب الحال والإجماع، ومن المصنفات المعنية بعلم أصول النحو " الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة) للأنباري( 513-577هـ) و "الاقتراح في علم أصول النحو" للسيوطي(911هـ)، وسنتحدث فيما يلي عن موقف كل من الكوفيين والبصريين من أكثر هذه الأصول أهمية وخطرا في مسيرة النحو العربي، والمراد بذلك أصلا السماع والقياس.

**السمــاع**

**مفهوم السماع:**

السماعهو الدليل النصي الذي يبني عليه النحويُّ قواعده، ويُعْـرَف عملُ النحاة في هذا الاستدلال النصي بالاستدلال أو الاستشهاد أو الاحتجاج، و الاستشهاد هو المصطلح الأكثر شيوعا ودقة في هذا السياق، لأنه يدل دلالة واضحة على طلب الشاهد المؤيِّـد للقاعدة، والشاهد في المصطلح النحوي هو الدليل النصي، أما الاحتجاج و الاستدلال فيعنيان توظيف الحجة أو الدليل للوصول إلى القاعدة، والحجة أو الدليل عند النحوي يمكن أن يكون نصا مسموعا، كما يمكن أن يكون دليلا عقليا ، مما يعني بوضوح أن الغالب في استعمال النحاة أن يكون كل استشهاد استدلالا أو احتجاجا، وليس كل احتجاج أو استدلال استشهادا. و ذلك يعني أن الشاهد في المصطلح النحوي هو دليل نصي نقلي يُبْـنى عليه القاعدة أو الحكم ،أما الحجة أو الدليل فيمكن أن يكون في ذلك نصيا نقليا كما يمكن أن يكون ذهنيا عقليا .

**مصادر السماع وضوابط الاستدلال بها.**

مصادر السماع عند النحاة ثلاثة هي **1- القرآن الكريم وقراءاته. 2- الحديث النبـــوي الشريف. 3- كلام العرب؛ شعره ونثره.** ولكل من هذه المصادر ضوابط ومحاذير معتمدة في استدلال النحوي بها، وفيما يلي إيجاز شديد لضوابط الاستدلال بكل من هذه المصادر.

1. **ضوابط الاستدلال بالقرآن الكريم** .

لم يختلف **أئمة** العربية في جواز الاحتجاج بالقرآن الكريم وقراءاته على اختلاف مراتبها المتواترة والشاذة، ولكن ذلك لا ينفي أن في القراءات القرآنية ما لم تستوعبه قواعد النحاة على اختلاف مذاهبهم وأزمنتهم، وقد تعدَّدت مواقفهم من القراءات التي جاءت بما لم تستوعبه قواعدهم**، فــقـد** ردَّ،أو لحَّنَ بعضُهم بعضَ هذه القراءات ، ووصف بعضُهم الآخر هذا الضربَ من القراءات بالرداءة أو القبح**، وتحاشى** جمهورهم ذلك مكتفيا بتأويل القراءة، أو تعليل ما فيها مصرِّحاً حيناً بأن ما فيها من الشاذ الذي يحفظ، ولا يقاس عليه، وغير مصرِّح بذلك حينا آخر.

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم فيما استعمله من اللغة العربية متمثِّل لهذه اللغة ومُـمَثـِّل لها، والعربية شأنُها شأنُ لغات البشر عامة فيها الكثير المطرد الذي تبنى عليه القواعد اللغوية، وفيها القليل أو النادر الشاذ الذي يحفظ، ولا يقاس عليه، فالشذوذ ظاهرة طبيعية موجودة في اللغات عامة، مما يعني أن كثيرَ العربية الذي تبنى عليه القاعدة هو كثيرُ القرآن الكريم، وأنَّ نادرها وشاذها الذي يُــقْــتَــصَــرُ فيه على السماع هما نادره وشاذُّه، وليس في ذلك قدحٌ في فصاحة النص القرآني، لأن موافقة معيار النحوي، ليست دائما شرطاً لفصاحة الكلام، و مما يؤيد ذلك **قول أبي حيان الأندلسي(745هـ)( القراءات جاءت على لغة العرب؛ قياسها وشاذها)** وفيما يلي عرض لأمثلة للحالات الشاذة في القرآن الكريم[[26]](#footnote-26) :

1. **رفع الاسم بعد(إنَّ)** في قوله تعالى (قالوا **إنَّ هذان** لساحران يريدان أنْ يُخْرِجاكما من أرضكم بسحرهما) طــه 20/63 ففي هذا التركيب القرآني ذي القراءة السبعية المتواترة رُفِــعَ في الظاهر على الأقل(هذان) وهو اسم (إن) الذي تقضي القاعدة بنصبه، وقد قيل قديما وحديثا الكثير من الأقوال في تأويل هذا التركيب، وتعليل ما فيه، ولكن ذلك كله لا يعني أن ما فيه مقيس مطرد في قواعد العربية، بغض النظر عن أي تخريج أو تأويل قيل في هذا النص.أي أن ما هذا النص القرآني شاذ يحفظ ولا يقاس عليه.
2. **زيادة الكاف الجارة** في قوله تعالى(ليس **كمثله** شيءٌ،وهو السميع البصير) الشــــورى42/11علما أن زيادة الكاف الحرفية الجارة شاذة تحفظ ولا يقاس عليها.
3. **زيادة الباء الجارة في خبر(أنَّ)** في قوله تعالى(أو لم يرَوْا **أن اللهَ** الذي خلق السماواتِ والأرضَ، ولم يعيَ بخلقهنَّ **بقادر** على أن يحيِيَ الموتى)الأحقاف 46/33. هنا زيدت الباء الجارة في خبر(أنَّ) وهو (قادر) وهذه الزيادة شاذة، وذلك بغض النظر عما قاله البعض كابن هشام الأنصاري في باب القواعد الكلية في تخريجها، أو تعليلها، قال أبو حيان الأندلسي تعقيبا على إجازة الزجاج لزيادة الباء في خبر(أن) على النحو ما جاء في الآية: والصحيح قصر ذلك على السماع.

وبعد فهذه الحالات بغض النظر عمَّا قيل في تعليلها أو تأويلها من الشاذ الذي يحفظ، ولا يقاس عليه في قواعد النحاة. فتأويل النحوي للنص أو تعليله لما به لا يعنيان بالضرورة أن ما في هذا النص يجوز قياسه في القاعـــدة، وهو ما فصلنا القول فيه في موضع آخر[[27]](#footnote-27)، لذا اكتفينا هنا بهذا الإيجاز.

1. **ضوابط الاستدلال بالحديث النبوي** .

على كون الرسول محمد(ص)أفصح الناطقين بالضاد لوحظ أن متقدمي النحاة كسيبويه(180هـ) لم يستشهدوا بالحديث النبوي إلا نادرا، ولكنهم لم يتعرضوا نظريا إلى ضوابط الاسشتهاد به، أما بعض متأخري النحاة كابن خروف(610هـ) وابن مالك(672هـ) فقد استشهدوا به، فاعترض بعضهم كأبي الحسن بن الضائع(680هـ) وأبي حيان الأندلسي(745هـ) على ذلك بدعوى أن الحديث النبوي لم يكن من مصادر الاحتجاج عند متقدمي النحاة، وأن الحديث ليس حجة في النحو، ليس لأن قائله (ص) غيرُ فصيح، بل لأن الأحاديث النبوية لم يلتزمْ رواتها في كثير من الأحيان الحرفيَّة في روايتها، بل تصرفوا بألفاظها، إذ من الجائز أن يُـرْوَى الحديث بالمعنى، مما يعني أن جمهور الأحاديث النبوية لا يمثل لغته (ص) بل لغة الرواة، وهؤلاء معظمهم من الموالي الذين لا يؤمن عليهم اللحن، لذلك لا يجوز الاستشهاد بالحديث في النحو، وهذه القضية من القضايا التي شغلت الدارسين قديماً وحديثاً بين مؤيد، ومعارض، ومتوسط كالسيوطي(911هـ) والإمام الشاطبي(790هـ) الذي يرى أنه يجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها، كتلك التي قُصِد بها بيان فصاحة الرسول(ص) والأمثال النبوية، وغيرها من الأحاديث القصار التي تشهد أنه(ص) أوتي جوامعَ الكلم، ومن هذا القبيل قوله (ص) : الحديد بالحديد يفلح .

1. **ضوابط الاستدلال بمنثور كلام العرب=اللهجات العربية**.

منثور كلام العرب المحتج به عند النحاة يُحْـرَصُ على أن يكون من لغة البدوي الذي يعيش في الصحراء بعيدا عن لغة المدينة التي أفسدتها الهُجْـنَـة المجتمعية اللغوية التي أوجدها دخول الأعاجم في الإسلام، لذلك اقْــتُـصِر في الاحتجاج على لغات القبائل الضاربة في بطون الصحراء العربية البعيدة عن الأطراف التي يمكن أن تسمح بالاحتكاك بلغات الأمم الأخرى كالفرس في الشرق، والروم في الشمال . ولذلك لم تكن كل لهجات القبائل على درجة واحدة من إمكانية القياس على ما فيها من الظواهر، لذا جعل النحاة بعض ما في اللهجات مما يحفظ، ولا يقاس عليه، ومن هذا القبيل إبدال حاء حتى عينا، كـ**(عتى حين)** والمراد : حتى حين، و**العنعنة**، والمراد بذلك إبدال الهمزة عينا، نحو(أريد عن أسافر) والمراد : أريد أن أسافر، ومن ذلك أيضا ما يعرف **بالعجعجة والكشكشة والكسكسة**، وغير ذلك من الظواهر اللهجية الخاصة التي تعرف في مظانها من كتب التراث، ومنها استعمال بعضهم لـ(متى) حرفا جارا بمعنى(مِن) نحو قول الشاعـــــــــــر:

**شربـْـنَ بماء البحر ثم ترفَّعتْ متى لججٍ خضْرٍ لهنَّ نئيج[[28]](#footnote-28)**

والمعنى: ترفعت من لجج خضر، فـ(متى) هنا حرف جر كما في إحدى اللهجات، وهذه اللهجة في(متى) تحفظ، ولا يقاس عليها، ومن هذا القبيل استعمال إحدى اللهجات لـ(لعل) حرفا جارا، يفيد الرجاء، كقول الآخر:

**فقلت ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المِـغْـوار منكَ قريبُ**

فـ(لعل) على هذه الرواية كما في إحدى اللهجات حرف جار شبيه بالزائد، يدل على الرجاء، وأبي : اسم مجرور لفظا مرفوع محلا على أنه مبتدأ، و(قريبُ) خبره .

1. **ضوابط الاستدلال بالشعر .**

تتمثل ضوابط استدلال النحاة بالشعر بالمسائل التاليــــــة : أ- الحــدود الزمانية للشعر المحتج به. ب- الحــدود المكانية. ج- نسبة الشاهد، د- تعـدد رواياته. هــ- الضرورة الشعرية . وفيما يلي إيجاز شديد لأهم ما قيل[[29]](#footnote-29) في هذه القضايا:

1. **الحدود الزمانية للشعر المحتج به**. يُـقْـتَـصَر في الاستشهاد بالشعر على ما يُعْـرَف بعصر الاحتجاج الذي خُـــتـِـم في المشهور من الأقوال **بإبراهيم بن هرْمة** الذي اختلف في وفاته، فقيل سنة(154هـ)وقيل(176هـ) ويبدو أن هذه الحقبة تمتد حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، فقد لوحظ أن بعضهم يحتج بشعر لأبي حية النمري المتوفى في ثمانينيات القرن الثاني للهجرة، وفي ذلك يقول عبد القادر البغدادي في " شرح أبيات مغني اللبيب"3/391( المولَّد المُحْدَثُ – كمُكرَم – من الشعراء منْ لا يصح الاستشهاد بكلامه، وهو مَنْ جاء بعد عصر المئتين، وأولهم بشار بن برد، وأبو نُــوَاس، وأبو تمام)
2. **الحدود** **المكانية للشعر المحتج به**. المشهور في الظاهر على الأقل الاقتصارُ على الاحتجاج بشعراء البادية، والصحراء الذين يتكلمون العربية بالسليقة، ولذلك تردَّد بعضُ الأئمة في الاحتجاج بشعراء من عصر الاحتجاج، لأنهم عاشوا في المدينة، فتأثروا في لغتهم بلغات الأخلاط المجتمعية الهجينة من العرب وغيرهم، ومن هذا القبيل توقـُّـفُ الأصمعيِّ عن الاحتجاج بعبد الله بن قيس الرقيات لأن الحضريَّة أفسدت لغته، كما امتنع بعضُهم عن الاحتجاج بشعر الكميت بن زيد الأسدي ، وبشعر ذي الرمة، لأنه أخذ اللغة الفصحى بالتعلُّـــم في المدينة، لا بالاكتساب العفوي من مجتمع الصحراء.
3. **نسبة الشاهد إلى قائله**. لم تكن معرفة قائل البيت شرطا لصحة الاحتجاج به عند جمهور أئمة العربية ، فالبيت المروي عن العالِم الثقة كسيبويه لا يشترط أن يعرف قائله ليكون حجة في علوم العربية، بدليل أن سيبويه احتج بكثير من الأبيات غير المعروفة النسبة،أو غير المنسوبة إلى قائليها، ومع ذلك نرى بعض الأئمة يتخذ من عدم نسبة البيت حجة للطعن في الاستدلال به ، ولكن ذلك ليس منهج الجمهور كما ذكرنا.
4. **تعدد روايات البيت الشاهد** . لم يكن عند جمهور أئمة العربية تعـــدُّدُ روايات البيت مطعنا في الاستدلال به عند جمهور النحاة، ولو شمل التعدد موطن الاستشهاد ووجهه،وخير دليل على ذلك أن سيبويه نفسه استدل بمختلف روايات البيت الواحد على عدة قضايا، مع شمول هذا التعدد أحيانا لموطن الشاهد، ولوجه الاستشهاد. ومع ذلك نرى بعض الأئمة يتخذ من تعدد روايات البيت حجة للطعن في الاستدلال به ، وقد يتمثل ذلك بالطعن في صحة الرواية، أو برد الرواية الصحيحة برواية صحيحة أخرى . وهذا مسلك غير علمي لأن كلاً من الروايتين يمثل مظهرا من مظاهر الواقع اللغوي للعربية في عصر الاحتجاج، ولا يحق للباحث أن يُسْقِط من حساباته شيئا من الواقع اللغوي الذي يدرسه.
5. **الضرورة الشعــريــة** . لا يُــعــدُّ كلُّ ما جاء به الشعـرُ مقيسا في النثر عند النحاة، فبعضه لا يجوز قياساً إلا في الشعر، علما أن الضرورة المقيسة عندهم لا يراد بها كلُّ ظاهرة سمعت في الشعر ، بل يشترط في ذلك كثرة الظاهرة في الشعر المحتج به من جهة، وكون هذه الظاهرة معاوَدَة لما يعرف بالأصول المهجورة عند النحاة، مما يعني أن لديهم ضروراتٍ قليلة ونادرة يقتصر فيها على ما سمعت فيه من الشعر، كما أن لديهم ضروراتٍ حسنة كثيرة ومقيسة جائزة للشعراء في كل زمان ومكان، وخير مثال على ذلك صرفُ ما لا ينصرف، فهذا جائز للشاعر دائما لكثرته، ولأنه معاودة لأصل مهجور، مفاد ذلك أن الصرف، أي التنوين أصل في الأسماء، ولكن هذا الأصل هجرته العرب في النثر في بعض الأسماء لعلل،تُعْـرَف عندهم بعلل المنع من الصرف، وللشاعر حق العودة بالاسم إلى هذا الأصل، وهو الصرف، وإن كان في النثر لا يجوز صرفه. ومن هذا القبيل عندهم تذكير المؤنث، لأن الأصل في الأسماء التذكير، لذا لا يجيزون في الضرورة تأنيث المذكر لما في ذلك من الخروج بالاسم عن الأصل، ومما نحن فيه أيضا قصر الاسم الممدود لأن الأصل في الأسماء القصر ، والمد خروج بها عن هذا الأصل، لذا أجازوا في الضرورة قصر الممدود ، ومنعوا فيها مـــدِّ المقصور لأن في ذلك خروجا عن الأصل

وقد كانت الضرائر الشعرية عند معظم النحاة موضوعا لأبواب مستقلة في مصنفاتهم، وفي مقدمة هؤلاء سيبويه(180هـ) الذي قدم لكتابه بأبواب تمثل الأصول والضوابط والمفاهيم التي سيصدر عنها فيما سيأتي من كتابه ، ومن هذه الأبواب (باب ما يحتمل الشعر) على أن بعض النحاة أفردوا للضرورة مصنفات مستقلة، ومنهم ابن عصفور الإشبيلي(669هـ) صاحب كتاب(ضرائر الشعر)

**السماع بين البصريين والكوفيين** .

اهتم البصريون بسعة السماع وغزارته وفصاحته، فقد رحلوا في سبيل ذلك إلى بوادي نجد والحجاز بعد أن وقفوا على ما كان يــقــدِّمه لهم فصحاء البصرة وما حولها مما كان يحمله الرواة الثقات، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) مِمَّن ارتحلوا إلى البادية للأخذ عن القبائل في منازلها، وكذلك فعل يونس بن حبيب والأصمعي. أما الكوفيون فقد نهلوا من علماء البصرة أولا، وندرت رحلتهم إلى البادية إلا ما كان من الكسائي(189هـ) وذلك بعد أن نصحه الخليل بذلك، وكذلك فعل الفراء(207هـ) ، ولكن الكوفيين لم يحافظوا كما يقال على فصاحة مسموعهم ونقائه، لأنهم خلطوه بما وقفوا عليه من لغة الأعراب الذين سكنوا بغداد وما حولها، وهم أخلاط من مختلف القبائل غير العربية، لذلك كان البصريون يفتخرون على الكوفيين في هذه المسالة، فيقولون: **نحن أخذنا اللغة عن حَـرَشَـة الضباب وأكَـلَة اليَرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز**.

ومن المهم جدا فيما نحن فيه من الحديث عن استدلال كل من البصريين والكوفيين أن نعرِض لمنهج كل منهما في التعامل مع النصوص التي تبنى عليها القواعد لما في هذه المسالة من المغالطات والتجني على الحقيقة العلمية عامة، وعلى الكوفيين خاصة، فمن الشائع أن البصريين توفـَّــرَ لديهم ثروة لغوية غزيرة، فأقاموا قواعدهم على الكثير والمطرد في كلام العرب، وذلك منذ أن وضع لهم عيسى بن عمر(149هـ) هذه القاعدة بقوله : **أرى أن أضع الكتاب على الأكثر، وأسمِّيْ الأخرى لغات، ومن ثم تابعه في ذلك أبو عمرو بن العلاء(154هـ) كما لاحظنا** فإذا ظهر للبصريين من كلام العرب ما يخالف القواعد التي انتهَـوْا إليها حملوه على الضرورة في الشعر، وجعلوه شاذا يحفظ ولا يقاس عليه إن كان في النثر، وعمِلوا على تأويله لردِّه إلى قواعدهم ، أو طعنوا فيه إن لم يكن مسموعا عن الفصحاء، أو كان في رواية بيت غير موثوق بها عندهم، لذلك كثر في معرض خلافهم مع الكوفيين استعمالهم مصطلحاتِ الشاذ والنادر والقبيح والضرورة واللغة بمعنى اللهجة الخاصة غير المقيسة في العربية الفصحى المشتركة بين العرب عامة .

أما الكوفيون فقد توسعوا في المقيس عليه، فقاسوا على ما لم يقس عليه البصريون، حتى وصُفِــوا ظلما **بأنهم كانوا يقبلون كلَّ شاهد من أي قبيلة، فيجعلونه أصلا، يقيسون عليه، ويبنون عليه القاعدة، لذا وُصِفَ مؤسسُ المدرسة الكوفية علي بن حمزة الكسائي(187هـ) بأنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة ، فيجعله أصلا، ويقيس** عليه.وإذا كانت الموضوعية تقتضينا الإقرار بأن الكوفيين توسَّعوا في القياس على ما لم يقِس عليه البصريون فإن من المغالاة والخطأ الزعمَ أنهم كانوا يقيسون على الشاذ، فهذا الذي يقيسون عليه شاذٌّ بمقاييس البصريين، لا بمقاييسهم هم ، يضاف إلى ذلك أنه ليس صحيحا أن الكوفيين كانوا يقيسون على كل ما يسمعونه من كلام عصر الاحتجاج، بدليل أن لديهم ما قصروه على ضرورة الشعر، ولديهم النادر أو الشاذ الذي صرحوا أحيانا بأنه يحفظ، ولا يقاس عليه، ولم يصرحوا بذلك أحيانا أخرى، بل إنهم خطَّأوا بعض ما خالف قواعدهم من الكلام المسموع، وفي مقدمة ذلك ما عرف عنهم من ردِّ لبعض القراءات القرآنية التي جاءت بما خالف قواعدهم، فكيف يستقيم مع ذلك كله القول بأن الكوفيين كانوا يبنون قواعدهم على كل ما سمعوه، ولو كان بيتا واحدا ؟!

**القياس عند البصريين والكوفيين**

**القياس لغةً واصطلاحاً**.

**القياس في اللغة** تقديرُ الشيء على مثاله، أي أن القياس بهذا المعنى اسمُ آلة يُـقَـدَّرُ بها الشيء طولا وعرضا وعمقا وارتفاعا، لذا يسمى المِيـْـلُ قياسا لأنه يُــقَــدَّرُ به عمق الجراحة ، ومن معاني القياس اللغوية التشبيهُ، أي تشبيه الشيء بالشيء، لذا يقال هذا قياس هذا إذا كان بينهما وجه من الشبه.

**أما في الاصطلاح فليس مفهوم القياس** ببعيد عن هذه المعاني اللغوية، وذلك مع تطور مفهوم هذا المصطلح في الدرس اللغوي والنحوي قديما وحديثا كما سنبين بعد قليل، فالأصل في المعنى المصطلحي لكلمة **القياس هو أنه حمل مجهول على معلوم، أي إعطاءُ شيءٍ مجهولٍ حكمُه حكمَ شيءٍ معروفٍ حكمُه،** وذلك لشبه ما يجمع بينهما، وهذا الجامع يسمى في المصطلح العلة الجامعة، وهي ركن من **أركان القياس الأربعة 1- المقيس 2- المقيس عليه 3- العلة الجامعة 4- الحكم أو النتيجة** .

والقياس بهذا المفهوم المصطلحي أصل من أصول الاستدلال في علوم إنسانية عدة كالمنطق والفقه والنحـــو والصرف، والجدير بالذكر أن للقياس في تفكير الإنسان عامة أصولا فطرية، وفي ذلك محمد عيد "فكرة القياس ترتبط بالعقل والتفكير، فهي جزء من قوانين المنطق العقلية، وهبة العقل لا تختلف كثيرا باختلاف العصور" على أن للقياس في الدرس اللغوي والنحوي عند العرب ثلاثة مفاهيم، لكل منها خصوصية تُـــمَـيِّــزه عن غيره، تمييزا لا ينفي وجود مشتركات في المرتكزات التي يقوم عليها كل مفهوم من مفاهيم مصطلح القياس الثلاثة التالية :

1. **القياس الاستقرائي ،أوالقياس بمعنى القاعدة.**

اسْتُـعْـمِـل مصطلحُ القياس في النحو العربي بمعنى القاعدة التي يُحْـتَـكَـمُ إليها أو تراعى في معرفة صحيح الكلام من ملحونه، وقواعدُ اللغة في الحقيقة ليست سوى أقيسة نـقَـدِّرُ كلامنا عليها، لذلك عرَّف السيوطي(911هـ) **النحو بأنه علم بمقاييسَ مستنبطة من استقراء كلام العرب**، أي أن النحو هو قواعد مجرَّدة من استقراء كلام العرب أو مبنية على هذا الاستقراء، ولهذا أيضا عرَّف الكسائي (187هـ) النحو بقوله: **إنما النحو قياس يتبع . أي** أن النحو في تعريف الكسائي هو القواعد والأحكام التي يتبعها المتكلم واعيا أو غير واع.

وقد تجلى بوضوح استعمال مصطلح القياس بمعنى القاعدة كما لاحظنا عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(117هـ) لذلك وُصِفَ بأنه أول **من بعج النحو ومدَّ القياس والعلل**، والمقصود بمد القياس هنا طردُ القواعد في الظواهر اللغوية التي تنظمها هذه القواعد، لذا رأينا الحضرمي نفسَه ينصح يونس بن حبيب بضرورة العدول عن العناية بالظواهر اللهجية الصوتية غير القابلة للتقعيد التعليمي المطَّــرِد، أو غير المجدية في ذلك إلى العناية بباب من النحو يطرد و ينقاس، وذلك عندما سأل ابنُ حبيب الحضرميَ : هل يقول أحدٌ الصويق؟ يعني السويق قال : نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا؟! **عليك بباب من النحو يطرد، وينقاس**! ومن واضح استعمال الحضرمي لمصطلح القياس بمعنى القاعدة النحوية، ما في اعتراضه على الفرزدق في جرِّه لخبر المبتدأ من قوله - كما لاحظنا- ( **مخُّها ريرِ)**بجر(ريرِ)والصواب: مخُّها ريرُ برفعه، لأنه خبر للمبتدأ(مخها) وهو ما أنكره ابن أبي إسحاق على الفرزدق قائلا له : أسأتَ، إنما هي ريرُ، **وكذلك قياس النحو في هذا الموضع**.ومرادُ الحضرميِّ بقياس النحو في كلامه هذا إنما هو حكم النحو، أو القاعدة النحوية في تعبيرنا.

ولما تقدم يقول حلمي خليل " القياس بمعنى اطراد الظاهرة في النصوص اللغوية المسموعة ، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها وتطبيقها في الاستعمال...وهذا هو المفهوم الاستقرائي للقياس ، مثال ذلك قولهم : كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب ، ثبت ذلك من استقراء كلام العرب".

**2-القياس الاستدلالي.**

يراد بمصطلح القياس أحيانا أصلٌ من الأصول التي يستدل بها النحاة على القواعد والأحكام التي يرغبون في الوصول إليها، لذا يسمى هذا القياس بالقياس الاستدلالي،والقياس بهذا المفهوم هو عبارة عن عملية عقلية شكلية صورية، يتم فيها إلحاق أمر بآخر لما بينهما من شبه أو علة، أو هو حمل غير المنقول على المنقول لعلة جامعة بينهما، وفي هذه الحالة نحرص بوضوح وتفكير عقلاني واعٍ على تحديد أركان القياس الأربعة : 1-المقيس، 2- المقيس عليه، 3- العلة الجامعة بينهما، 4-الحكم أو النتيجة ، ومن هذا القبيل ما يلي :

1. قياس النحاة اسم الفاعل على الفعل المضارع في العمل النحوي المتمثل بنصب اسم الفاعل للمفعول، ورفعه للفاعل، وذلك للعلة الجامعة بينهما المتمثلة بالموازنة الصوتية العروضية، فـ( يكتبُ) مثلا يوازِنُ عروضيا(كاتب) فكلاهما (فاعلن) و(يستكتب) يوازن اسم الفاعل(مُسْتَكْتِب) فكلاهما يساوي(مسْتَفْعِلن).
2. قياس النحاة إعراب الفعل المضارع على اسم الفاعل، لعلة الموازنة العروضية الجامعة التي وضحناها قبل قليل .
3. قياسُ خبرِ ما فيه معنى العموم والسببية من حيث زيادة الفاء فيه، على جواب الشرط ، الدالِّ أصلا على العموم والسببية، وذلك نحو قولهم (من يأتيني، أو الذي يأتيني فله درهم) قياسأ على(منْ يأتني فله درهم) و قولهم(كلُّ دارسٍ فهو ناجحٌ ) قياساً على قولنا (من يدرسْ فهو ناجــــــــــحٌ)
4. قياس(ما) الحجازية النافية في الإعمال على (ليس) للعلة الجامعة بينهما المتمثلة بدلالة كل منهما على النفي .
5. قياس نائب الفاعل على الفاعل في الرفع، لأن كلا منهما مسند إليه، ولو في ظاهر اللفظ فقط.

ومن مثالب القياس أصلا من أصول الاستدلال على القواعد والأحكام نسبيَّةُ العلة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه، مما قد يفضي إلى أن يخطِّىء النحاةُ بعضُهم بعضا بموجب القياس نفسه، ولهذا السبب اعترض بعضهم كابن مضاء القرطبي من القدماء والدكتور على أبي المكارم من المحدثين على اعتماد القياس أصلا من أصول الاستدلال على القواعد والأحكام عند أئمة العربية، ومن هذا القبيل إجازة الكوفيين تقدُّم التمييز على عامله الفعلِ المتصرِّفِ، ومنع البصريين لذلك التقدُّم ، في نحو قول الشاعر:

**أتهجر سلمى بالفراق حبيبها وما كان نفسا بالفراق تطيب**

فاسم (كان)عند الكوفيين هو ضمير الشأن، وأما (نفساً) فتمييز منصوب، وعامله هو الفعل المتصرف (تطيب)وبذا استدلوا على جواز تقدم التمييز على عامله إذا كان هذا العامل فعلا متصرِّفا، لذا من الجائز عندهم أن يقال: عرقا تصبب زيدٌ، وذلك قياس على تقدم الحال، أو المفعول على عاملهما عندما يكون فعلا متصرفا، فيقال: عمرا أكرم زيدٌ، وراكضا جاء زيد . أما البصريون[[30]](#footnote-30) فمنعوا بالقياس أيضا ما أجازه الكوفيون من تقديم للتمييز على عامله ولو كان فعلا متصرفا قياسا على الفاعل الذي لا يجوز عندهم أن يتقدم على فعله، ذلك أن التمييز(عرقا) في قولنا(عرقا تصبب زيد )هو الفاعلٌ الحقيقي في البنية العميقة لهذا التركيب، لأن المعنى الأصلي والعميق هو تصبب عرقُ زيدٍ، وإذا كان الأمر كذلك امتنع تقديم التمييز على عامله في هذه الحالة، ولو كان فعلا متصرِّفا، لأنه في الحقيقة هو الفاعل لذلك الفعل، والفاعل لا يجوز أن يتقدم على فعله .وبذلك يتضح أنه بالقياس نفسه يجيز بعض النحاة ما يمنعه بعضهم الأخر، مما كان له بالغ الأثر في تأجيج نار الخلاف بين النحاة ، و هذا ما انعكس اضطرابا وبلبلة في قواعد اللغة وأحكامها.

وهذا ما حمل بعضهم قديما وحديثا كما قلنا على الدعوة إلى التخلي عن القياس أصلا من أصول الاستدلال في الدرس اللغوي، ولا سيما في استنباط القواعد الأحكام. وهي دعوة لا يقرها التفكير العلمي الواقعي، لأن القياس والاستدلال به في الأصل عملٌ فطريٌ، قبل أن يتطور، فيصبح ضربا من التفكير العقلي المنطقي الواعي،والقياس الفطري كما يقال جزء من تفكير الإنسان في مجال العلم والمعرفة، فالإنسان يقارن بين الاشياء، فيعرف صفاتها المتشابهة والمختلفة، ثم يستنبط من هذه الصفات المتشابهة مقاييسه وأصوله، ومن طبيعة الإنسان أيضا أن يبحث عن العلة أو السبب في كل حكم يصدره.[[31]](#footnote-31)، ومما يؤنس بذلك ما أثبته علم نفس النمو من أن الطفل يجمع بين الأجسام المختلفة لتشابهها في اللون ، أو في الحجم ، أو في الشكل، مما يعني أنه يعطي هذه الأشياء أحكاما تصنيفية مشتركة لما بينها من التشابه على ما بينها من الاختلاف، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أن القياس في الأصل عمل فطري قبل أن يتطور إلى عمل منطقي عقلي، ولعل هذا يسوغ اعتمادَه منذ القدم ضربا من ضوابط التفكير الإنساني الواقعي المعتَـــمَــدة في كثير من العلوم، وإن أفضى أحيانا إلى بعض ما لا يروقنا، ولعلنا نتفق على أن سوء تطبيق المبدأ السليم لا يبيح لنا إبطالَ العمل به، فصحة المبدأ لا يقدح فيها سوء تطبيقه !

**3-القياس الاستعمالي.**

هو عملية ذهنية عفوية يقوم بها المتكلم المنتمي إلى جماعة لغوية ما لدى إنجازه لغة هذه المجموعة، فالمتكلم يَجْــرِي بموجب هذه العملية على الاستعمال المطَّرِد والشائع في لغة جماعته اللغوية، وذلك بموجب **القياس اللغوي،أو قياس المتكلم أو القياس الاستعمالي**، و ذلك لأن المتكلم يقوم بهذا الضرب من القياس عفويا أو تلقائيا، أو لا شعوريا، في أثناء ممارسته للغة، وقياسنا نحن هو محاكاة لكلام العرب كما يتصوره كلٌّ منا، أي أننا نحمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول الألفاظ وفروعها، وفي ضبط الحروف، وفي ترتيب الكلمات في الجمل، فالإنسان يتعلم، أو يكتسب بعض الحقائق اللغوية للغته الأم، ثم تؤدي ملكته اللغوية سائر الدور بقياس المتكلم هذا الذي يسميه بعضهم القياسَ اللغوي، فنحن نقيس قياسا عفويا ما نرتجله من الكلام على ما تختزنه ذواكرنا من نماذجَ لغوية، وأصولٍ وأحكامٍ مجردة، مما يعني أن تطبيقنا قواعد اللغة بمختلف مستوياتها الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية والدلالية هو في جوهره قياسٌ محضٌ قائمٌ على ملاحظتنا العفوية لأوجه الشبه بين ما تختزنه ذواكرنا من نماذج لغوية وبين ما نرتجله من الكلام، فنرفع كل كلمة وقعت موقع الفاعل مثلا قياسا على ما تخزنه ذواكرنا من نماذج لغوية مستقرة ومتمثلة برفع كل كلمة، وقعت موقع الفاعل في الجملة العربية، وهكذا في سائر المهارات اللغوية التي نقيس بموجبها ما نرتجل من كلام على ما نختزن من نماذج لغوية لما يتراءى لنا عفويا من أوجه شبه بين ما نختزن، وما نرتجل، فإذا كان وجهُ الشبه بينهما حقيقيا كان قياسنا قياساً صحيحا، وكان كلامنا صحيحا، أما إذا كان وجه الشبه متوَهَّـما لا حقيقة له؛ فيكون قياسنا خاطئا، ويفضي إلى كلام خارج عن الأصول والقواعد والأحكام المرعية في الصحيح الفصيح من كلام العرب، وفيما يلي أمثلة موضِّحة لكل من هاتين الحالتين القياسيتين .

**أ-نماذج من صحيح قياس المتكلم**. بموجب قياس المتكلم هذا نشتق مثلا ما نحتاجه من الكلمات للتعبير عن معان قد تكون جديدة، فنحتاج إلى ما يعبر عنها من الكلمات، ويكون أحيانا باشتقاق كلمات نقيس صياغتها على نماذج مختزنة في الذاكرة تدل على المعاني الصرفية نفسها التي نريد أن نعبر عنها، وهو وجه الشبه الذي يسوغ لنا أن نقيس في اشتقاقنا مادة لغوية نريد ارتجالها على نظائر لها مختزنة في ذاكرتنا، فمما تدل عليه صيغة (مَفْعَل) مثلا الدلالة على مكان وقوع الحدث، أو على كثرة وجود كائن ما فيه، وقياسا على هذه الصيغة نرتجل ما قد لا يكون موجودا عمليا من قبل في المدونة اللغوية العربية، نحو(مَـقْـرَأ ، مكتب، مطار، مكتبة – مدجنة - مبقرة –مرملة- مغنمة – مَسْمَكة – مَصْحَنة) فهذه المشتقات وغيرها مما نرتجل اشتقاقه بدافع الحاجة إلى التعبير عن معان جديدة إنما نشتقها بفعل ما يسمى بقياس المتكلم أو القياس اللغوي، وهو قياس صحيح أفضى إلى مادة لغوية صحيحة لأنه قائم على أوجه شبه أي علة جامعة حقيقية بين المقيس والمقيس عليه.

**ب-نماذج من خاطئ قياس المتكلم. ومن هذا القبيل قولهم حديثا(**مُـدراء) في جمع (مدير) ووزنه في الحقيقة (مُفَلاء) وهو وزن لا وجود له في النظام الصرفي للغة العربية، وهذا وجه خطئه، وهذا قياسٌ خاطئ على باب(سفير)الذي تُجْـمَـعُ على سفراء، والصواب : مديرون ومديرين، ومن هذا القبيل قول العرب(مُسْلان) في جمع (مَسِيْـل) ووزنه الحقيقي(مُفْـلان) وهو وزن لا وجود له أيضا في النظام الصرفي للغة العربية، وهذا قياسٌ خاطئ على نحو (رغيف ورُغْــفـان) و (قَـفيز و قُــفْــزان) وربما قيل: أمْسِلة، ووزنه الحقيقي(أمْفِلَة) وهو قياس خاطئ أيضا على (أرْغفة) و(أسْبِـِـلَة) جمع (سبيل) ،وفي كلا المثالين قاس المتكلم جمع كلمة على جمع أخرى ظنا منه أن المقيس والمقيس عليه من باب صرفي واحد، علما أن كلا منهما من بنية مختلفة عن بنية صاحبه اختلافا لا يسمح بقياس أحدهما على الآخر، فـ(مسيل) مثلا وزنه في الراجح قبل الإعلال(مفْعِل) أما رغيف فوزنه(فَعِــيـْـل) والذي جعل المتكلم يقيس إحدى هاتين الكلمتين على الأخرى في الجمع هو أنه توهم بينهما علة جامعة غير حقيقية، وهي الجرس الصوتي العام أو البنية الصوتية العروضية العامة لكل من المقيس والمقيس عليه، فـ(مسيل) مثلا وزنها العروضي هو نفسه وزن(رغيف)أو(سبيل) فأعطي توهما حكمهما في الجمع، فجُمِعَ جمعَهما، علما أن المتحكِّم الحقيقي في ذلك هو الشبه في الوزن الصرفي،لا في الوزن العروضي، مما يعني أن وجه الشبه أو العلة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه علة أو شبه متوهمان لا حقيقيان، مما أفضى إلى إنجاب مادة لغوية ليست صحيحة بمعيار النظم الصرفية للغة العربية.

ومن القياس الخاطئ على المستوى النحوي، قياس(سوى)على(إلا) في إدخال حرف الجر على ما بعدها، والصواب إدخاله عليها أي على (سوى) نفسها لأنها اسم ملازم للإضافة، وإدخاله على ما بعدها يحول بينها وبين الإضافة، وذلك نحو قولهم مثلا(ما مررت سوى بزيد)قياسا خاطئا على (ما مررت إلا بزيدٍ)والصواب: ما مررت بسوى زيدٍ، لأن(سوى)اسم ملازم للإضافة كما قلنا، والعلة الجامعة المتوهمة التي أفضت إلى هذا القياس الخاطئ الذي أفضى بدوره إلى استعمال لغوي مخالف للأصول، هي دلالة كل من(إلا)و(سوى)على الاستثناء، وغني عن التوكيد والبيان أن هذه العلة ليست هي الحكَم الفصل في ضوابط استعمال مختلف أساليب الاستثناء في اللغة العربية .

والجدير بالذكر أن القياس بمختلف معانيه الاصطلاحية نقف عليه عند النحاة بصرييهم وكوفييهم، فقياس المتكلم عرض له النحاة عندما يكون خاطئا، وهو معروف لديهم بالغلط أو التوهم أو التشبيه، وكذلك القياس بمعنى القاعدة النحوية عرف لديهم بصريين كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكوفيين كالكسائي، وكذلك أيضا حال القياس مقصودا به أحد الأصول المعتمدة في الاستدلال على القواعد والأحكام والمفاهيم، فقد عوَّل عليه مختلف النحاة بصريين وكوفيين وغيرهم في هذا الاستدلال، وهذا واضح بجلاء في كتب الخلاف النحوي المعنية بمسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وفي المقدمة من ذلك كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين" لأبي البركات الأنباري، وهو ما سنتناول في الفصل الثاني من هذا العام مسائل منه إن شاء الله.

**ثالثاً: اختلاف البصريين والكوفيين في القواعد والأحكام.**

من الطبيعي أن يفضي الاختلاف في الأصول المنهجية العامة بين البصريين والكوفيين في دراسة النحو إلى اختلافهم في القواعد والأحكام الجزئية، مما يؤكد أنهما مدرستان نحويتان على درجة لافتة من التميُّز والاستقلال، وقد لفت ذلك انتباه المعنيين منذ وقت مبكر، فصُنِّـفَـتْ في الخلاف النحوي بينهما المصنفات، ومن أبرز هذه المصنفات (الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري (557هـ)و(التبيين في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين) لأبي البقاء العُكْبَري (616هـ) وسندرس في الفصل الدراسي الثاني من هذا العام نماذج من المسائل الخلافية بين مدرستي البصرة والكوفة لذا نكتفي الآن بهذه الإشارة الموجزة إلى ما بينهما من الخلاف في القواعد والأحكام النحوية، وهو كما قلنا أي اختلافهم في القواعد والأحكام النحوية مما سوَّغْــنا به الإقرارَ بأنهما مدرستان نحويتان متميزتان و حقيقيتان في تاريخ النحو العربي.

**حركة التأليف النحوي عند العرب**

كتاب سيبويه(180هـ) أقدمُ كتب النحو التي وصلت إلينا والموثوقة النسبة إلى أصحابها. على أن ذلك لا ينفي أن الأخبار تذكر محاولاتٍ رائدة، سبقت سيبويه إلى التصنيف في النحو العربي، ومن ذلك شروع علي بن أبي طالب(40هـ) في التصنيف في النحو بعد ما لاحظه من تفشي اللحن، مما حمله على تكليف أبي الأسود الدؤلي(69هـ) إتمام ما بدأ به هو، فكان من أبي الأسود ما عُـرف بالتعليقة. ومن هذا القبيل أيضا ما قيل - كما لا حظنا- من أن أبا عمرو بن العلاء(154هـ) صنَّـفَ كثيرا من الكتب في النحو واللغة ، ثم أحرقها تأثما في آخر حياته.

ومن ذلك أيضا ما ينسب إلى عيسى بن عمر الثقفي(149هـ) من أنه وضع كتابين في النحو، وهما الجامع والإكمال، ولكن هذين الكتابين لم يتركا أثرا يذكر في التصنيف النحوي، ذلك أن أحدا من النحاة لم يذكر أنه اطَّــلَعَ عليهما، وفي ذلك يقول الحسن بن عبد الله أبو سعيد السيرافي(368هـ) "هذان الكتابان ما وقعا إلينا ، ولا رأيتُ أحدا يَـذْكُـر أنه رآهما" والشيء نفسه نجده عند ابن النديم الذي قال : فَـقَـدَ الناسُ هذين الكتابين منذ مدة طويلة...ولا خبَّرنا أحدٌ أنه رآهما" وقد أثنى عليهما الخليل في قوله :

**بطل النحو جميعا كلُّه غيرَ ما أحدث عيسى بنُ عمر**

**ذاك إكــــمالٌ وهذا جامع فهما للناس شمسٌ وقـــمر**

ويشكك سعيد الأفغاني في صحة هذين البيتين، لأن ابن السيرافي كما لاحظنا قبل قليل ذكر أن هذين الكتابين لم يقعا إليه ، وأنه لم يقل أحد: إنه رآهما، ويعجب الأفغاني من ضياع هذين الكتابين في ذلك العصر عجبا مشوبا بالشك ، في وجودهما أصلا،ولا يرى دارس[[32]](#footnote-32) آخر عجبا في ضياع هذين الكتابين، بدليل ضياع كتب على صلة وثيقة بالدين، وحاجة الناس إلى الدين أشد من حاجتهم إلى النحو كما يرى صاحب هذا الرأي الذي يرى أيضا أن كتابي عيسى بن عمر الثقفي(149هـ) الإكمال والجامع أعطيا في التأريخ للنحو العربي من الأهمية أكثر مما هما جديران به.

و ينسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) كتاب" الجمل في النحو" الذي صدر بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، وقد اختلف المعنيون في نسبته إلى الخليل، مما يؤكد أن كتاب سيبويه أقدم الكتب النحوية الموثوقة النسبة إلى أصحابها، على أن ما يحسن التنبيه عليه أن كتاب سيبويه يمثل مُحَصِّلة للجهود العلمية النحوية المبذولة من قبله، ولا سيما جهود الخليل الذي يُعَـدُّ إلى حد بعيد صاحب النظرية التي أداها سيبويه في كتابه، وفي ذلك يقول السيرافي "كلما قال سيبويه :سألته، أو قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل" ويقول السيوطي"إن سيبويه عقد أبواب كتابه بلفظه ولفظ الخليل" .

وقد ترك الكتابُ في القديم والحديث أثرا لافتا في حركة التصنيف النحوي عند العرب كما هو معروف. فعلى الرغم -كما يقول حلمي خليل- من أن الدراسات النحوية واللغوية قد شهدت بعد سيبويه عقولا علمية فذة ،لا تقل عنه قدرة على الإبداع إلا أن الإيمان بكمال اللغة العربية وأفضليتها على سائر اللغات قد انتقلا إلى كتاب سيبويه ، وكأنما أصبح هو واللغة سواء ، فعكفوا عليه شرحا وتعليقا واختصارا ...فتضخمت المؤلفات النحوية واتسعت ظاهرة المنظومات والمتون التي كان هدفها أن تقرِّبَ الأقصى ..ولكنها أخفقت في تحقيق هذا الهدف، لأنها جاءت في لغة مُعَمَّاة ، واحتاجت المتون إلى شروح ، والشروح إلى حواش وتعليقات، وهو ما يمكن أن يشي ببعض معالمه تتبع حركة التأليف في النحو العربي إلى العصر الحديث، و يمكن تصور هذه الحركة ممثلة بالمحاور الأساسية التالية :

**أبـــــرز محـــاور التــصنـيـف في النحــــــــو العربي.**

**أولا: المطولات النحوية وشروحها وكتب علم أصول النحو.**

والمقصود بذلك الكتب التي عُنيت بعرض قواعد النحو والصرف والاستدلال عليها، وبعض هذه الكتب متون مطولة ذات طابع علمي ككتاب سيبويه، وبعضها الآخر متون قصيرة ، أو مختصرات موجزة ذات طابع تعليم، كمقدمة في النحو لابن خلف الأحمر(180هـ)، وتشمل أيضا مصنفات النحوية النظرية الكتب المعنية بأصول الاستدلال في النحو أو ما يعرف بعلم أصول النحو، يضاف إلى ذلك الكتب المعنية بالعلة النحو وبالحدود أو التعريفات النحوية ، وفيما يلي ذكر لنماذج لهذا الضرب من ضروب التصنيف في النحو العربي:

**1-المطولات النحوية وشروحها**

1. كتاب سيبويه(180هـ)
2. شرح كتاب سيبويه. لأبي سعيد السيرافي( 368هـ )
3. شرح كتاب سيبويه. للرماني( 384هـ )[[33]](#footnote-33)
4. المقتضب للمبرد.(285هـ)
5. الأصول لابن السراج(316هـ)
6. ارتشاف الضرب من لسان العرب. لأبي حيان الأندلسي(845هـ)
7. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية. النحو للسيوطي(911هـ)

**2-مكتبة علم أصول النحو.**

1. الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة لابن الأنباري( 535هـ )
2. الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي(911هـ)
3. الأشباه والنظائر في النحو. للسيوطي(911هـ)

**3-مكتبة العلة النحوية، والحدود النحوية**

1. الإيضاح في علل النحو. لأبي القاسم الزجاجي(340هـ)
2. العلل في النحو لأبي الحسن محمد بن عبد الله المعروف بالوراق.(381هـ)
3. أسرار لعربية. لأبي البركات الأنباري(577هـ)
4. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري(616هـ)

**ثانيا : الكتب النحوية التعليمية** وشروحها .ويشمل ذلك المتون النحوية النثرية المختصر الموجهة للشداة من طلبة النحو، كما تشمل كتب الأدوات النحوية، والمنظومات النحوية، وفيما نماذج من هذا الضرب من ضروب التصنيف النحوي.

**1-المتون التعليمية النثرية وشروحها.**

1. مقدمة في النحو لابن خلف الأحمر(180هـ).
2. الموجز في النحو لابن السراج (316هـ)
3. الجمل في النحو للزجاجي (340هـ)
4. شرح جمل الزجاجي. لابن عصفور(636هـ )
5. شرح الجمل لابن الحاجب(646هـ)
6. الإيضاح العضدي. لأبي علي الفارسي(377هـ)
7. التكملة لأبي علي الفارسي( 377هـ )
8. اللمع في العربية. لابن جني(392هـ)
9. شرح اللمع لابن الخباز(638هـ)
10. المتبع في شرح اللمع. لأبي البقاء العكبري(616هـ)
11. المفصل في علم العربية . للزمخشري.(538هـ)
12. شرح المفصل لابن يعيش(643هـ)
13. الكافية في النحو لابن الحاجب (646هـ)
14. شرح الكافية في النحو للرضي(715هـ)
15. الشافية في الصرف لابن الحاجب(646هـ)
16. شرح الشافية للرضي(715هـ)
17. قطر الندى- شذور الذهب. ابن هشام الأنصاري(761هـ)

**2-مكتبة الأدوات النحوية(في ذلك ما يقرب من أربعين مصنفا) ومنها**

1. اللامات لأبي القاسم الزجاجي(340هـ)
2. كتاب الأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي(415هـ)
3. الجنى الداني لابن أم قاسم المرادي( ق7هـ)
4. رصف المباني . للمالقي (702هـ)
5. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.لابن هشام(761هـ)

**3-مكتبة المنظومات النحوية**

1. منظومة نحوية منسوبة إلى الخليل بن أحمد الفراهيد(175هـ)
2. ألفية ابن معطٍ(628هـ)
3. ألفية ابن مالك(672هـ) وقد أثارت ألفية ابن مالك حركة ملحوظة في التصنيف النحوي ما بين شروح لها، وشروح لشواهد شروحها، وحواش وتعليقات على اختلاف مسمياتها، وقد تجاوزت هذه المصنفات المئة.

**ثالثا: المكتبـــــة النحـــوية التطبيقية .**

والمراد بذلك المصنفات التي عُنِيَتْ بشرح وإعراب شواهد المتون النحوية، والمصنفات التي عنيت بإعراب القرآن الكريم، والحديث النبوي، وفيما يلي نماذج من هذا الضرب من ضروب التصنيف في النحو العربي.

**1-شروح الشواهد الشعرية**

1. شرح أبيات سيبويه لأبي سعيد السيرافي( 368هـ )
2. شرح أبيات سيبويه للنحاس( 338هـ )
3. شرح أبيات مشكلة الإعراب. لأبي علي الفارسي(377هـ)
4. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية. بدرالدين محمود العيني(855هـ)
5. شرح شواهد مغني اللبيب. للسيوطي(911هـ)
6. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. لعبد القادر البغدادي(1094هـ)
7. شرح أبيات المغني. لعبد القادر البغدادي(1094هـ)
8. شرح شواهد شرحي الشافية. لعبد القادر البغدادي(1094هـ)

**2-كتب إعراب القرآن ومعانيه، وقراءاته .**

1. معاني القرآن للكسائي(189هـ)
2. معاني القرآن للفراء(207هـ)
3. معاني القرآن للأخفش(208هـ)
4. معاني القرآن وإعرابه المنسوب لأبي إسحاق الزجاج (310هـ)
5. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات . لابن جني(392هـ)
6. مشكل إعراب القرآن. مكي بن أبي طالب القيسي(437هـ)

**3- كتب إعراب الحديث النبوي.**

1. إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث. لأبي البقاء العكبري(616هـ)
2. إعراب الحديث النبوي. للعكبري ( 616هـ )
3. مسائل النووي عن إعراب الحديث، وإجابة ابن مالك عنها( 631هـ )
4. شرح شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح, لابن مالك(672هـ)
5. عقود الزبرجد في إعراب الحديث النبوي. للسيوطي(911هـ)

**رابعا: مكتبة تراجم النحاة.**

1. مراتب النحويين. لأبي الطيب اللغوي(351هـ)
2. أخبار النحويين البصريين. لأبي سعيد السيرافي( 368هـ )
3. طبقات النحويين واللغويين. محمد بن الحسن الزبيدي.(379هـ)
4. نزهة الألباء في طبقات النحويين والأدباء. لأبي البركات الأنباري( 533هـ )
5. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . للسيوطي(911هـ)

**خامسا: مكتبة الخلاف النحوي.**

1. المسائل عن مذاهب النحويين مما اختلف فيه البصريون و الكوفيون. ابن كيسان(320هـ)
2. المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين. أبو جعفر النحاس(338هـ)
3. الإنصاف في مسائل الخلاف. ابن الأنباري(533هـ)
4. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين لأبي البقاء العكبري(616هـ)
5. مسائل خلافية في النحو. لأبي البقاء العكبري(616هـ)
6. الإسعاف في مسائل الخلاف. ابن إياز(681هـ)

**نظرة تحليلية في حركة التصنيف النحوي عند العرب**

يمكن أن يفضي النظر في حركة التأليف النحوي عند العرب نظرة تحليلية إلى الأمور التالية:

1. **أثرالامتداد التاريخي في حركة التأليف النحوي**. لا شك أن المسيرة التاريخية المديدة والواقعة فيما يقرب من خمسة عشر قرنا كان له أثر واضح في ضخامة الموروث من المصنفات النحوية العربية، وقد زاد أثر هذا الامتداد التاريخي حضورا في هذه الحركة الدواعي العقدية و التعليمية، وكل ذلك: التاريخ المديد، والدواعي العقدية والدواعي التعليمية كان له بالغ الأثر في ضخامة هذا الموروث، وما يلاحظ عليه من تكرار أو حشو أو تورم.
2. **أثر البعد العقدي في حركة التأليف النحوي**. من المسلم به أن العامل الديني ممثلا بكون العربية لغة" القرآن الكريم" كتاب المسلمين الأول كان، وما يزال له الأثر الأهم في حركة التصنيف النحوي خاصة، واللغوي عامة، ومن معالم ذلك ما لاحظناه في المحاور السابقة من كثرة المصنفات المعنية بإعراب القرآن الكريم وتفسيره، والكتب المعنية بإعراب الحديث النبوي.
3. **أثر البعد التعليمي في حركة التأليف النحوي**. من المسلم به أيضا أن لتعليم اللغة العربية أثرا بارزا في حركة التأليف في النحو العربي، ذلك أن لكل عصر من الكتب النحوية التعليمية المنثورة والمنظومة ما يناسب معطيات العصر ومتطلباته من حيث أسلوب عرض المادة النحوية التعليمية، و لغة هذا العرض و مصطلحاته، مما جعل كتب النحو تكاد تكون متكررة ومتجددة تجددا شكليا بتجدد وبتتالي معلمي النحو على مرِّ العصور ، ولا يخفى ما لذلك من أثر بارز في ضخامة هذا الموروث، وما يلاحظ عليه من تكرار أو حشو أو تورم.

على أنَّ ذلك انطوى على غير قليل من تعقيد النحو وخفاء مسائله ، وكثرة عويصه وخلافاته حتى غدا كثير من المصنفات النحوية مدعاة لغموض النحو، وإفساد السلائق، وإضعاف الملكات اللغوية، وذلك كله خلافٌ لما يراد من هذه المصنفات، **وهو أوضحه سعيد الأفغاني ص 268-269 من "عصارة فكر وتجربة حياة" حيث قال : " تكاثرتْ كتبُ النحو على مدى الزمن، وكلُّ من أنِسَ في نفسه قدرة على جمع ما ليس عند غيره من شواهد وأقوال دسَّ ذلك في مكانه من أبواب النحو ، وأعقب ذلك أزمنة التقهقر، فشرع المتصدرون للإقراء يضعون متونا مختصرة، يستظهرها الصغار، وهم لا يفهمونها بالطبع ، فيشرحون لهم متونهم، ويأتي بعد ذلك في عصور ضعف الملكات من يضع على الشرح حاشية تعليقا على كلام الشارح، يجادلونه في تركيب استعمله ، يرونه غير محكم ، ويتسرب إليه الاعتراض، فيذكرون الاعتراض، يؤيدونه ، أو يدفعونه بكلام من عندهم، وربما أتى بعد هؤلاء من يضعون، تقارير على الحاشية، فيها ما هبَّ ودبَّ، وأصبح الذي يريد تخصُّصا في النحو يمضي عمره في هذا الركام مما لا يعود على لغته بتسديد ولا إصلاح إلا بعدا عن العربية الناصعة وفسادا في الملكات، لا تيسيرَ ولا إبداعَ ولا إحكامَ ولا إصلاحَ ولا نفعَ من ذلك كله بتقوية ملكة أو عصمة من خطأ أو سموٍّ في أسلوب، ولم تخلُ تلك العصورُ من علماءَ موفقين ، ألَّـفوا ما قرَّب الطريق إلى حدٍّ ما على المتعلمين"**

1. **الاجترار والتورم** في **حركة التأليف النحوي**. وأبرز معالم ذلك أحادية النظرية التي يقوم عليها النحو العربي، وهي نظرية العامل كما هو معروف، مما يعني أن أسس المصنفات النحوية على مر العصور واحدة، وأن الاختلاف أو التنوع، أو الخصوصية -إن وجدت - إنما تكمن في منهج عرض القواعد والأحكام، وفي تطبيقها على هذا النص أو ذاك، أو في هذه الحالة أو تلك.
2. **أحادية النظرية التي قامت عليها مصنفات النحو العربي** على مر العصور الافتعالُ والتكُّـلفُ في إخضاع النصوص التي لا يستجيب ظاهرها لأصول هذه النظرية التي يبدو أن النحاة نسبوا إليها من الشمول والحتمية المتمثلين بإخضاع كل ما في المدونة اللغوية العربية إليها ما لا يصح أن ينسب إلى أية نظرية من نظريات العلوم الإنسانية عامة.

**التصنيف النحوي في مطلع القرن العشرين.**

هذه هي أبرز معالم حركة التأليف في النحو العربي: متونٌ مطوَّلة غير تعليمية، أو قصيرة تعليمة، وشروح لهذه المتون أو حواش عليها، وشروح لشواهد هذه المتون، وتلك الشروح ، وقد استمرَّت هذه الحال حتى مطلع القرن العشرين الذي بدأت معه طريقة جديدة في التأليف النحوي.

و يمكن أن يؤرخ لحركة التأليف النحوي في العصر الحديث **بكتاب(**التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية**) لرفاعة الطهطاوي** الذي ارتبطتْ كما يرى المعنيون بكتابه هذا حركة التجديد في عرض النحو العربي. فقد صنَّف الطهطاوي كتابه هذا على نمط مؤلفات الفرنسيين في النحو، فقد أُعْجِب الرجل في أثناء إقامته في فرنسا بمنهج الفرنسيين في عرض النحو، فخرج في كتابه هذا على طريقة معاصريه في الشروح والهوامش والتعليقات و التقريرات، فجاء كتابه**(التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية)**بسيطَ العبارة، سهلَ العرض، ليس له متن و شرح، بل له نص واحد يُـقْـرَأ، فيفهم كما يقول الدكتور محمود فهمي حجازي .

**قســــم الأدوات الــنــحـــويــة**

**الأدوات المطلوبة في مقرر" النحو وتاريخه" هي (الهمزة، أمَّا، أنْ، ألا، إنْ، أمْ، حيث، الباء)**

**الألف أو الهمزة**

تستعمل الهمزة أو الألف حرفاً من حروف المباني، نحو(أخذ، وسأل، وبدأ) كما تستعمل حرفاً من حروف المعاني، كأن تكون، مفيدة لمعنى النداء، أو معنى الاستفهام، و ما يعنينا هنا هو استعمالها الثاني الذي تكون فيه كما يلي :

**أولا : الهمزة حرف للنداء .**

* أ زيدُ
* أ فاطمَ مهلا[[34]](#footnote-34) بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعتِ صُرْمي فأجملي
* أ سكَّانَ نَعمانِ الأراك تيقنوا بأنكم في رَبْع قلبيَ سكانُ

فالهمزة في (أزيد) لنداء القريب، وهذا القرب قد يكون حقيقيا، وذلك إذا كان زيد بقربك حقيقة، وقد يكون معنويا نفسيا، وذلك عندما يكون زيد بعيدا عنك مكانيا، ولكنه شديد الحضور في نفسك، وهذا ما ينطبق على البيتين الشاهد، إذ ليست(فاطمة) بجوار الشاعر حقيقة، ولكنها شديدة الحضور في نفسه، فالهمزة هنا لنداء القريب قربا نفسيا، لا مكانيا ، ومعروف أن حقيقة النداء هو أن ننبه الغافل عنا، أو غير المنتبه إلينا ليقبل علينا أو يلتفت إلينا أو يهتم بما نحن فيه، وقد يخرج، النداء إلى معان أخرى كالتعجب، أو التحسُّر أو التفجع أو التوجُّع وغير ذلك من المعاني النفسية التي يعنى علم المعاني ببيانها .

**ثانيا : الهمزة حرف للاستفهام**

تكون الهمزة حرفا للاستفهام، وحقيقة الاستفهام هو طلب المتكلم فهمَ وتوضيحَ حقيقةِ ما يَسْأل عنه، لذلك ننتظر من المسؤول إجابة ما ، ويخرج الاستفهام إلى غير ذلك، فيكون استفهاما غير حقيقي، فيعبر عن معان أخرى تعرف من السياق، كالإنكار والتوبيخ، والتسوية والتعجب، والتحسُّر وغير ذلك، كما سنرى فيما سيأتي، على أن لهمزة الاستفهام أحكاما نحوية خاصة نعرضها فيما يلي

**أحكام همزة الاستفهام**

الهمزة أصل أدوات الاستفهام، لذلك تُعْــرَف عند النحاة بأم أدوات باب الاستفهام، ولهذا خُصًّتْ كما يرون بأحكام ليست لغيرها من هذه الأدوات، وفيما يلي عرض لهذه الأحكام .

1. **جواز حذفها**

يجوز حذف همزة الاستفهام مع بقاء معناها، وذلك مع ما يدل على التسوية كـ(أَمْ) المتصلة أو المعادلة، أ و عبارة (لا أبالي) وما في معناها، واختلفوا في جواز حذفها بغير قيد ، فأجاز بعضهم ذلك إذا أُمِن اللبس، واتضح المعنى بقرائن أخرى، وفيما يلي عرض لما جاء على كل من هاتين الحالتين .

بدا لي منها معصمٌ حين جمَّرتْ وكفٌّ خضيب زُيِّنَتْ ببَنان

فو الله ما أدري وإن كنتَ داريا **بسبع رمين الجمر أم بثمان ؟**

فهمزة الاستفهام، حذفت في قوله(بسبع رمين الجمر أم بثمان؟) والتقدير: أبسبع، وهذا الحذف جائز، وذلك لوجود(أم) المعادلة التي توضح هنا الاستفهام المراد بالهمزة سواء أذكرت الهمزة أم لم تذكر، وعلى هذا النحو يجوز حذفها مع عبارات من قبيل (لا أبالي) نحو( لا أبالي خسرت أم ربحت) والتقدير: لا أبالي أخرست أم ربحت.

أما حذف الهمزة مطلقا من غير قيد، نحو (سافر زيدٌ؟) وأنت تريد : أسافر زيد ؟ فمنهم من منعه، وقصره على الضرورة الشعرية، وأجازه آخرون إذا فهم معنى الاستفهام من السياق، **والصحيح جواز ذلك اعتمادا على ما يعرف بقرينة التنغيم، فللاستفهام في كل لغة تنغيم يدل على هذا المعنى**، **وقد جاءت على ذلك نصوص غير قليلة في الشعر والنثر**، إضافة إلى شيوع ذلك في أيامنا هذه، وفيما يلي توضيح المسألة في الحديث عن الأبيات التالية:

- طربتُ وما شوقا إلى البِيْضِ أطرب ولا لعبا مني **و ذو الشيب يلعب**؟

فمما قيل في هذا البيت أن عبارة(**وذو الشيب يلعب**؟) استفهامية، وأن ثمة همزة استفهامية محذوفة، والتقدير: أو ذو الشيب يلعب ؟ واختلفوا في هذا الحذف، فبعضهم قصره على الشعر ، وبعضهم أجازه في الشعر والنثر إذا فهم المعنى من السياق، وكذلك يقال في البيتين التاليين :

- ثم قالوا **تحبُّها ؟** قلتُ بهــــــرا عددَ النجم والحصى والتـــراب

- **أحيا ؟** وأيسرُ ما لاقيتُ ما قتلا والبينُ جارَ على ضعفي وما عدلا

والصواب فيما نرى أنه لا داعي لتقدير الهمزة في هذه الحالات لأن الاستفهام لا يُعَـبَرُ عنه بها في هذه الحالة، بل بالتنغيم الدال على الاستفهام، مما يعني جواز أن نقول مستفهمين: زيد سافر؟، ولا داعي لتقدير الهمزة، لأنه لا دور لها في التعبير عن الاستفهام في هذا التركيب ونحوه، ومن القصور الكتابي عدم رسم علامات علامة الاستفهام في هذه الحالة تنبيها على أن التركيب استفهامي لا خبري.

1. **استعمالها لطلب التصور ولطلب التصديق**

الاستفهام في العربية يكون لطلب التصور[[35]](#footnote-35) حينا، ويكون لطلب التصديق[[36]](#footnote-36)، وبعض أدوات الاستفهام مختص بطلب التصديق، وهو الحرف(هل) وبعضها مختص بطلب التصور، وهذا يكون بأسماء الاستفهام عامة، أما الهمزة فتمتاز عن سائر أدوات الاستفهام بأنها تستعمل لطلب التصور حينا، وذلك عندما يسأل بها عن المفرد، فيجاب السائل بتحديد هذا المفرد المرغوب في تصوره نحو " أسافر زيد أم عمرو ؟ " كما تستعمل لطلب التصديق،وهو طلب إدراك حصول إسناد المسند إلى المسند إليه مطلقا أو مخصصا ضربا من التخصيص، ويجاب السائل في هذه الحالة بـأحد أحرف الإجابة كـ(نعم)أو(لا) نحو " أسافر زيد ؟ " أو " أمسافر زيد ؟ " أما سائر أدوات الاستفهام - كما ذكرنا- فبعضها مختص بطلب التصديق، وهو ما تقتصر عليه(هل) من أدوات الاستفهام، وبعضها مختص بطلب التصور، وهو ما تقتصر عليه أسماء الاستفهام كلها، لأنها تجاب بتحديد المسؤول عنه بكل منها لا بـأحد أحرف الجواب .

1. **لها تمام التصدير.**

في العربية عناصر تمتاز بأن لها الصدارة فيما تكون فيه من التراكيب، أي أنها تتقدم عناصر التركيب الذي هي جزء منه، ومن هذا القبيل أدوات الاستفهام والشرط، علما أن بعض هذه العناصر المتصدرة يكون تصدرها غالبا لا كليا، مما يسمح بأن تتقدم عليها عناصر أخرى، ومن هذا القبيل تقدم أحرف الجر مثلا على أدوات الاستفهام أو الشرط، وذلك كقولنا: بمَن مررتَ؟ أو بمنْ تمررْ أمررْ به.

أما الهمزة فتمتاز من سائر أدوات الاستفهام بوجوب تصدُّرها، كلَّ عناصر التركيب الذي هي فيه، حتى لو كان العنصر أحد أحرف العطف، وذلك نحو قوله تعالى **" أفلم يسيروا في الأرض ؟ "** وذلك خلاف لسائر أدوات الاستفهام كـ(هل) التي يتقدم عليها أحرف العطف، كأن يقال : **وهل ساروا في الأرض** ؟ ، أو **فهل ساروا؟** وأما أسماء الاستفهام فيتقدم عليها كما لاحظنا قياسا عوامل الجر الاسمية أو الحرفية كأن يقال : كتابَ من تقرأ ؟ وبمن تقتدي ؟

ويرى بعضهم-وعلى رأسهم الزمخشري-أن أحرف العطف في الآية الكريمة ونحوها في مكانها الطبيعي،وليس في استعمالها على هذا النحو ما يدل على تميز الهمزة من سائر أدوات الاستفهام بتمام التصدير، لأن حرف العطف في هذه الحالة يعطف الجملة التي تليه على جملة محذوفة مناسبة للسياق، ومقدرة بين العاطف وبين الهمزة ، مما يعني أن الهمزة لم تباشر الفاء، عند الزمخشري في الآية السابقة، لأن التقدير عنده : **أمكثوا فلم يسيروا في الأرض**، ومن هذا القبيل قوله تعالى

* **أولم ينظروا** في ملكوت السماوات والأرض. الأعراف 7/185 .
* **أفلم يسيروا** في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلِهم. يوسف 12/109

فالتقدير عند القائلين بعدم تصدير الهمزة، في النص الأول:أ أعرضوا ولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض، والتقدير في النص الثاني:أ ثبتوا، فلم يسيروا ؟ ولا شك أن الصواب القول بتمام تصدير همزة الاستفهام لما في هذه التقديرات من التمحُّل وافتعال تقدير ما لا داعي إلى تقديره .

**دلالة الهمزة على غير الاستفهام الحقيقي .**

تخرج الهمزة أحيانا عن معنى الاستفهام الحقيقي الذي يراد به أن يفهم المتكلمُ ما يسأل عنه، فتدل على معان أخرى، كالتسوية والتوبيخ والإنكار، وغير ذلك، وفيما يلي عرض لأبرز المعاني التي تعبر عنها الهمزة عندما تخرج عن معنى الاستفهام الحقيقي

1. **لتسوية**

تدل الهمزة على التسوية عندما يسبقها ما يدل على هذا المعنى كـ(سواء) و(سِيَّان) وعبارة(لا أبالي) أو ما في معناها، والكلام في هذه الحالة خبري، لذا لا يحتاج إلى جواب، وأمارة دلالة الهمزة على هذا المعنى إمكانية تأويل الجملة التي بعدها بالمفرد، ومن هذا القـــبـــيــــــــــل :

* سواءٌ عليهم **أ سْتَغْفَرْتَ** لهم أمْ لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم.المنافقون 63/6

والتقدير والمعنى هنا : سواء عليهم استغفارك لهم وعدم استغفارك، فالله لن يغفر لهم، ومعروف اختلاف النحاة في إعراب الجملة التي بعد الهمزة في هذا التركيب، ومما قيل في ذلك عند من يجيز أن تقع الجملة مسندا إليها أي فاعلا أو مبتدأ أنها فاعل للمصدر (سواء) المقدر بـ(مستوٍ) والتقدير عند هؤلاء هو : مستو عليهم استغفارك لهم وعدمه. أو أن الجملة مبتدأ مؤخر ، خبره المصدر (سواء ) المتقدم ، والتقدير عند هؤلاء هو : استغفارك لهم وعدمه سواء. وزعم من لا يجيز الإسناد إلى الجملة أن الهمزة في هذه الحالة من الأحرف المصدرية، وأن الجملة بعدها صلة الموصول الحرفي، لا محل لها، والمصدر المؤول هو فاعل أو مبتدأ على التقديرين السابقين، وعلى هذا النحو وجهت الجملة بعد الهمزة في مثل:

* سيان عندي **أذهب** زيد أم لم يذهب . والتقدير والمعنى : سيان عندي ذهاب زيد وعدمُ ذهابه .

أما الجملة بعد الهمزة في نحو : لا أبالي **أ أ قمت** أم لم تقم . والتقدير والمعنى : لا أبالي قيامَك، وعدمَ قيامك . فمحلها النصب على المفعولية ، والتقدير والمعنى هو : لا أبالي قيامك وعدمه.

ب-**الإنكار الإبطالي.** ومعناه أن ما بعد الهمزة غير واقع، وأن مُدَّعيه كاذب، أو غير مَرْضيِّ زعمه. وذلك نحو

- فاسْتَفْتِهم **ألربِكَ البناتُ** ، ولهُمُ البنون. الصافات 37/ 149 .

فزعمهم أن البنين لهم، وأن البنات لله زعم منكرعليهم وهو باطل، وغير مرضيٍّ عنه منهم.وكذلك حال محبة المؤمن أكلَ لحم أخيه ميتا في قوله تعالى :

- **أيُحِبُّ أحدُكم** أن يأكل لحمَ أخيه ميتا فكرهتموه. الحجرات 49 / 12 .

**ج-الإنكار التوبيخي.** ومعناه أن ما بعد الهمزة حاصل، وأن فاعله ملوم على فعله هذا، مما استدعى توبيخه عليه، وذلك نحو قول الأب لابنه الراسب : أرسبت ؟! ومنه :

-**قال : أتعبُدون ما تنحِتون** ، والله خلقكم وما تعملون . الصافات 37/ 95-96 .

فالغرض من الاستفهام هنا أن الله ينكر على المشركين عبادة الأحجار التي ينحتونها، ويوبخهم على هذه العبادة .

**أطرباً** وأنت قِنِّسْرِيُّ والدهر بالإنسان دواريُّ .

ينكر الشاعر على نفسه وقد بلغ من الكبر ما بلغ، أن ينزع إلى اللهو والطرب والخفة، ويوبخها على فعل ذلك، والقنسري الطاعن في السن، والدواريُّ : المتقلب الذي لا يثبت على حال.

**د- التقرير.** والمراد به أن تحمل المخاطب على الإقرار بما تسأله عنه، وأنت عالم بحقيقة الأمر، كقول الأم لابنها وقد عرفت أنه هو الذي كسر الزجاج:أكسرت الزجاج ؟ وعلى ذلك حمل بعضهم قوله تعالى : قالوا: **أأنتَ فعلتَ** هذا بآلهتنا يا إبراهيم.الأنبياء 21/62. فكأنهم يعرفون أن إبراهيم عليه السلام هو الذي حطم أصنامهم، ولكنهم يريدون منه أن يقرَّ بذلك.

**هـ- التهكم.** وهو ضرب من السخرية أو الهزء من مزاعم أقوال الآخرين أو أفعالهم، ومنه قولك لمن يتبجَّح بنجاح مزعوم أو وهمي : أنجحت ؟! ومنه قوله تعالى : قالوا : يا شُعيب  **أصلاتُك** تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا .هود 11/ 87، فقوم شعيب لضلالهم يتهكمون به وقد دعاهم إلى التحول عما يعبد أباؤهم إلى عبادة الله تعالى

**و-التعجب.** التعجب حال نفسية نشعر بها تجاه الأشياء المخالفة للمألوف، أو للحقيقة كما تتراءى للمتكلم، ومنه قوله تعالى: **ألم تر** إلى ربك كيف مدَّ الظلَّ ولو شاء لجعله ساكنا . الفرقان 25/45 .

**يـ- الأمر**. والأمر هو الطلب من الآخر فعل أمر ما ، ومنه أن الاستفهام ( **أأسلمتم ؟**) معناه أسلموا في قوله تعالى :  **أأسلمتم** فإن أسلموا فقد اهتدَوا . آل عمران 3/20. إذ المعنى حضهم على الإسلام، ومعروف أن الحض ضرب من الأمر أو الطلب، ومنه قول الخطيب للمصلين : أصليتم على الرسول؟ والمراد صلُّوا عليه، فالمراد حثهم على الصلاة على الرسول(ص) أو أمرهم بذلك، وعدل عن الأمر المباشر إلى الأمر غير المباشر بالاستفهام على نحو ما تقدم تحاشيا لما يوحي به الأمر من الغلظة أو الفظاظة.

ج-**الاستبطاء.** وهو شعورك ببطء وقوع الشيء، وأنه يجب عندك أن يقع بسرعة، ولمَّا يقع، و منه قولنا للطالب: ألم تقرأ الدرس؟ ونحن نعرف أنه لم يقرأه بعد، ومنه تساؤل الطالب مستبطئا مسير المحاضرة، وقد ضاق ذرعا بها : ألم تنته هذه المحاضرة ؟ ومنه قوله تعالى : **ألم يأْنِ** للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله . الحديد 57/16، والمراد استبطاء خشوع قلوبهم، ودخولهم في الإسلام

**( أمَّا )**

**أولا : بُنْية(أمَّأ)**

( أمَّا ) بفتح الهمزة، وتشديد الميم، ونادراً ما تقلب ميمها الأولى ياء استثقالا للتضعيف، فيقال أيْما، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

**رأتْ رجلا أيما إذا الشمس عارضتْ فيضحى و أيما بالعشي ِّ فيخْصَرُ[[37]](#footnote-37)**

**وقال المليح بن الحكم يصف مطرا:**

**بذي هَيْدَب أيْما الرُّبا تحت وَدْقه فَتُرْوى، وأيما كلُّ وادٍ فَيُرْعَبُ**

والراجح في (أمَّا) أنها حرف مهمل مبني على السكون، وأبرز معانيه الدلالة على الشرط ، وغالبا ما يدلُّ على التفصيل، ونَسَب إليه بعضهم كالزمخشري معنى التوكيد ، وفيما يلي تفصيل القول في هذه المعاني ، وفي إعراب التركيب الذي تكون فيه (أما) .

**ثانيا: معاني (أمَّا)**

**1-الشرط** استدل النحاة على أن(أمَّا) هذه تفيد معنى الشرط دائما بملازمة الفاء لما يسمى مجازا بجواب (أما)، وذلك نحو " **أما زيد فناجح** " فهذه الفاء لا يجوز حذفها إلا في الضرورة الشعرية ، أو إذا كانت مصحوبة بقول محذوف لدلالة السياق عليه، كما استدل النحاة على دلالة (أما) هذه على الشرط بنص سيبويه على أن قولنا مثلا " أما زيد فذاهب " معناه " مهما يكن من شيء فزيد ذاهب " والراجح أن ننظر إلى كلام سيبويه هذا على أنه تفسير لمعنى هذا التركيب ،لا على أنه توجيه لإعرابه . والذي يضعف القول بدلالة (أما) على الشرط دخولها على أداة شرط،نحو قولنا: أما إن ذهب زيد فسأذهب، وأداة الشرط لا تدخل على أداة شرط أخرى، وفيما يلي نحلل نصوصا تحليلا يوضح ما ذكرناه هنا :

**- فأما الذين آمنوا فيعلمون** أنه الحق من ربهم . البقرة 2/26 . فـ(أما) هنا حرف مبني على السكون يفيد الشرط والتفصيل والتوكيد و(الذين) مبتدأ، والفاء في (فيعلمون) واقعة في جواب(أما) لدلالتها عندهم عل معنى الشرط،وجملة(يعلمون) خبر للمبتدأ(الذين)

- **فأما القتالُ لا قتالَ لديكم** ولكنَّ سيرا في عراض المواكب[[38]](#footnote-38) .

التقدير هنا : فلا قتال لديكم، والشاهد أن الفاء سقطت من جواب(أما)للضرورة الشعرية. و جملة(لا قتال لديكم) خبر للمبتدأ(القتال)

- **أمَّا الذين اسودَّتْ وجوههم أكفرتم** بعد إيمانكم . آل عمران 3/106 التقدير هنا أما الذين اسودت: وجوههم فيقال لهم، أو فنقول لهم : أكفرتم بعد إيمانكم، والشاهد أن الفاء حذفت من جواب(أما) وهذا جائز، لأنها مصحوبة كما وضحنا بقول محذوف مقدر.

**2-التفصيل**

غالبا ما يستعان بـ(أما) على تفصيل المُجْـمَل إضافة إلى معنى الشرط الذي و ضَّحناه سابقا،وإلى معنى التوكيد عند من رآه فيها، وتتجلى دلالتها على التفصيل بتكريرها في السياق لتوضيح جزئيات موقف ما كما سنرى بالنصوص الموضِّحة، علما أن التفصيل قد يُــرادُ بها مع عدم التكرير لفظاً، وذلك عندما يحذف ما ينبغي تكريره لدلالة السياق عليه، وفيما يلي توضيحٌ بالأمثلة لما جاء في هذه الفقرة

**-فأما اليتيمَ فلا تقهرْ** ، وأما السائلَ فلا تنهرَ، وأما بنعمة ربك فحدِّثْ . الضحى 93/9-11

فـ(أما) حرف لا محل له من الإعراب، واليتيمَ مفعول به مقدم للفعل (تقهر)، والفاء في(فلا) رابطة لجواب(أما) لتضمنها معنى الشرط كما قلنا، وكذلك إعراب(أما السائلَ فلا تنهر) و(بنعمة) جار ومجرور متعلقان بالفعل(حدِّثْ) والفاء كما قلنا رابطة لجواب(أما) لتضمنها معنى الشرط، ووجه الاستشهاد في هذا النص دلالة(أما) على التفصيل المصرح به كما هو واضح .

**- يا أيُّها الناسُ قد جاء كم برهانٌ** من رَّبكم، وأنزلنا إليكم نورا مبينا (174) فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضلٍ . النسا 4/175 .

فـ(أما) حرف لا محل له من الإعراب، و(الذين) اسم موصول مبني على السكون، في محل رفع مبتدأ، والفاء واقعة في جواب(أما) أو رابطة له، وجملة(سيدخلهم) خبر للمبتدأ(الذين)محلها الرفع . ووجه الاستشهاد في هذا النص دلالة (أما) على التفصيل المقدر المفهوم من السياق، وكأن التقدير: وأما الذين لم يؤمنوا فسيدخلهم النار، ولكن هذا التفصيل حذف لكونه مفهوما من السياق، وعلى ذلك يحمل النص التالي

- **هو الذي أنزل عليكَ الكتابَ منه آياتٌ محكماتٌ**، هن أمُّ الكتاب، وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زَيْغٌ فيتَّبِعون ما تَشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه. آل عمران 3/7 .فالتقدير: وأما المؤمنون حقاً فيتبعون المحكم من آيات القرآن .

**3-التوكيد**  ذكر بعضهم أن (أمَّا) تُكْسِبُ الكلام توكيدا، وفي ذلك يقول الزمخشري : فائدة (أما) في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدتَ توكيد ذلك، وأنه لا محالة ذاهب، وأنه بصدد الذهاب، وأنه منه عزيمة قلتَ: أما زيد فذاهب، ولذلك قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، **وهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين :** بيانِ كونه توكيدا ، وأنه في معنى الشرط "

**ثالثاً : إعراب تركيبها**

(أمَّا) حرف مهمل مبني على السكون، وأمَّا علاقة ما بعد الفاء بما قبلها فالراجح أن علاقته به كما لو أن(أما)هذه والفاء غير موجودتين، فقد يكون ما قبل الفاء مبتدأ، خبره ما بعدها، وقد يكون مفعولا به ، و ناصبه ما بعد الفاء ، وقد يكون شبه جملة ، ومتعلقه ما بعد الفاء ، وهكذا دواليك، وأما الفاء نفسها فيمكن أن يقال إنها واقعة في جواب (أما) أو رابطة له، لأن معناها كما لاحظنا معنى أدوات الشرط ، ولا داعي لتقدير تركيب شرطي كالذي نقلناه عن سيبويه لما في ذلك من تكلف تقدير ما لا تدعو إليه ضرورات معنوية ولا صناعية، **ولأن سيبويه في قوله إن معنى (أما زيد فذاهب) هو(مهما يكن من شيء فزيد ذاهب)** كما رجَّحْنا إنما يشرح معنى هذا التركيب، ولا يحلله نحويا،وهو ما يؤيده كلام الزمخشري السابق لنص سيبويه ، وفيما تقدم أمثلة يوضِّح إعرابُها ما ذهبنا إليه في هذه الفقرة، ومن ذلك :

**-أمَّا زيد فناجح**. فـ(زيد) مبتدأ و(ناجح) خبره

**- وأما ثمودَ[[39]](#footnote-39) فهديناهم ، فاستحبُوا العمى على الهدى، فُصِّلتْ 41/17.** فـ(ثمودَ) اسم منصوب على الاشتغال، فهو مفعول به لفعل محذوف، يفسره الفعل(هديناهم) المذكور.

**-أما اليوم فأنا مسافر .** فاليومَ : مفعول فيه ظرف زمان، متعلق باسم الفاعل (مسافر).

**-أما تحت هذه الشجرة فلا تجلس .** فـ(تحت) مفعول فيه ظرف مكان منصوب، متعلق بالفعل(تجلس)

**-فأما إن كان من المقرَّبين فرَوح ورَيْحان وجنة نعيم. الواقعة 56/88 - 89.** فـ(روحٌ) خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: فحاله روحٌ، أو مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: فله روح، وهذه الجملة الاسمية في الحالين جواب للشرط الواقع بعد(أما) مقترن بالفاء، محلها الجزم، والفاء في هذه الحالة رابطة لجواب (أما) ولجواب الشرط معا، و لا داعي لتقدير جواب محذوف لأحدهما لدلالة المذكور عليه، لما في ذلك من الاعتساف والتكلف، ولزاعم أن يزعم -كما قلنا- أن (أما) هذه لا تدل على الشرط، لدخولها على التركيب الشرطي كما في هذا النص، وأداة الشرط لا تباشر أداة للشرط !حد

**( أن )**

(أن) بفتح الهمزة وسكون النون تستعمل في العربية اسما وحرفا ، وذلك كما يلي :

***أولا : (أن) الاسمية :***

تستعمل (أن) اسما بوجهين عند بعضهم، الأول أن تكون ضميرا للمفرد المتكلم في قول بعض العرب في النادر**" أنْ فعلتُ " بسكون النون،** وهم يريدون : أنا فعلت، والكثير أن تفتح النون في الوصل، وأن تثبت الألف لفظا ورسما في الوقف فقط . فيقال لفظا **في الوصل " أنَ فعلتُ "** **أما في الوقف فيقال : فعلتُ أنا، بإطلاق الألف** لفظا ورسما .

أما الوجه الثاني لاسمية (أنْ) فأن تكون ضميرا للمخاطب في(أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنَّ) وذلك على قول الجمهور بأن الضمير في هذه الحالات هو(أنْ)وحدها، وأما ما عداها من الأحرف في تصاريف هذا الضمير فلتحديد المخاطب جنسا وعددا .

***ثانيا : استعمالات (أن) الحرفية***

لـ(أنْ) الحرفية استعمالات عدة في العربية، وهي : أن تكون **حرفا** مصدريا ناصبا للمضارع، **وحرفا** مصدريا مهملا، وذلك مع الماضي والأمر، **و حرفا مصدريا** **مخفَّفَا** من (أنَّ) الثقيلة، **وحرفا** مفسِّرا ، و**زائدة** للتوكيد، وفيما يلي تفصيل القول في هذه الاستعمالات.

**1-(أن) حرف مصدري وناصب للمضارع .**

تستعمل (أن) حرفا مصدريا ناصبا للمضارع، وتؤول معه بمصدر يعـرب بحسب موقعه من الإعراب، وقد تتصدَّر الجملةَ، و تكون مسبوقةً بما لا يدل على اليقين كـ( ظن ، وأحب، وأراد)وتعرب الجملة بعد(أن) في هذه الحالة صلة الموصول الحرفي، لا محل لها من الإعراب، و(أن) ْهذه تَصْرِف المضارع الذي تنصبه إلى الدلالة على المستقبل، ما لم تدلَّ قرينة أخرى على غير ذلك، وفيما يلي عرض للنصوص الموضِّحة لهذه الأحكام :

**- وأن تصوموا خيرٌ لكم . البقرة 2 /184.** (أن) ناصبة للمضارع(تصوموا) والمصدر المؤول منها ومنه مرفوع على أنه مبتدأ، والتقدير: صيامكم خير لكم .

**- فاللهُ أحقُّ أن تخشَوْه. التوبة 9/13.(أن)** ناصبة للمضارع بعدها، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، والتقدير: الله أحقُّ بخشيتكم . أو هو مبتدأ مؤخر، وأحقُّ خبر مقدم، والتقدير: الله خشيتكم إياه أحقُّ

**- ألم يأْنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكر الله . الحديد 57/16.** المصدر المؤول من(أن) الناصبة والمضارع ، فاعل للفعل( يأن) بمعنى (يحن) أي ألم يأن خشوع قلوبهم ؟

**- يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة .المائدة 5/52. المصدر هنا** مفعول به، والتقدير: نخشى إصابة دائرة إيانا .

**- أُوذينا من قَبْلِ أن تأتيَنا. الأعراف 7/129المصدر هنا مضاف** إليه، التقدير: أوذينا من قَبْلِ إتيانك إيانا

**- والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي. الشعراء 26/82 . المصدر** هنا منصوب بنزع الخافض، والتقدير : أطمع في غفرانه خطيئتي.

**2-(أن ) حرف مصدري مهمل مع الفعلين؛ الماضي والأمر .**

تدخل (أن) المصدرية هذه على الفعلين الماضي والأمر، والراجح أنها في هذه الحالة مهملة لا عمل لها ، خلافا لمن زعم أنها ناصبة ، وأن الفعل بعدها مبني في محل نصب، والمصدر المؤول منها ومن الفعل الذي بعدها يعرب بحسب موقعه من الإعراب ، كما لاحظنا من قبل، ومن هذا القبيل ما يلي :

* **فهمت الفكرة بعد أن شرحتها**. والتقدير: بعد شرحك لها
* **أوحيتُ إليه أن قم** . والتقدير: أوحيت إليه بالقيام، أو قياما بالنصب على المفعولية

- **لولا أن منَّ الله علينا لَخَسَفَ بنا**. القصص 28/ 82 التقدير: لولا منُّ الله علينا لخسف بنا

**3- (أن) حرف مصدري مخفف من(أنَّ).**

تُخَفَّف (أنَّ) فتصبح (أنْ) فتقع بعد ما يدل على اليقين نحو(أيقن ، علم ، رأى، اعتقد ) أو ما نُزِّل منزلة هذه الأفعال أحيانا كـ(حسب) و(أنْ) هذه ثلاثية البنية في الأصل، وهي مصدرية، يُعْرب المصدر المؤول بعدها بحسب موقعه في الجملة، وتفيد التوكيد، وتعمل عند البصريين خلافا للكوفيين عملَ (أنَّ)التي خُفِّفت منها، وشرط عملها عند جمهور من يعملها أن يكون اسمها ضمير الشأن المحذوف، وأن يكون خبرها جملة، ويجوز في الضرورة التصريح باسمها ضميرا لغير الشأن، فيمكن أن يكون خبرها اسما مفردا في هذه الحالة ، وفيما يلي الشواهد الموضحة لهذه الأحكام

**- أفلا يرون ألَّا يَرْجعُ إليهم قولا،ولا يملكُ لهم ضَرَّاً ولا نفعاً . طه 20/89 . ألا** مركبة من (أن) و(لا) المهملة النافية، أما (أن) فمخففة من (أنَّ) لأنها بعد(يرى) الذي يدل على اليقين، فمعناه : يعتقدون، أو يعلمون، فالذي يهمل(أن)هذه يكتفي في هذه الحالة بتأويل المصدر وإعرابه، والتقدير أفلا يرون عدمَ رجوعه قولا إليهم، وجملة (يَــرْجِعُ) صلة الموصول الحرفي، لا محل لها،أما من يُعمل(أن) عمل(أنَّ) فاسمها عنده ضمير الشأن المحذوف، وخبرها جملة( يرجع) والتقدير، أفلا يرون **أنـْـه لا يرجع إليهم قولا**، والمصدر المؤول من(أنْ) ومعموليها مفعول به كما لا حظنا. أما التركيب الإسنادي المكون من معمولي (أن) فيرى الجمهور أنه لم يعد يكون جملة بعد دخول(أن) أو (أنَّ) عليه، فلا يعرب إعراب جمل، والذي نميل إليه أن هذا التركيب مازال يكون جملة، لأنه يمتلك أسَّ الجملة في اللغة العربية، وهو الإسناد الأصلي، وهذه الجملة في هذه الحالة صلة الموصول الحرفي، لا محل لها من الإعراب. وعلى ما تقدم نوجِّه قوله تعالى **علم أن سيكونُ منكم مرضى . المزمل 73/20، وقول الشاعر:**

**- زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعا أبشر بطول سلامة يا مِرْبع ُ.**

**- وحسبوا أن لا تكونُ فتنة. المائدة 5/71** . وذلك في قراءة الرفع . حملا للفعل(حسبوا) على أفعال اليقين، لأنها بمعنى (اعتقدوا) وقرئ بالنصب على أنَّ (أن) ناصبة للمضارع، وأنَّ ( حسبوا) ما زالت على أصلها من أفعال الظن، والمعنى : وظنوا ألا تكون فتنة.وأما (أنْ) في قول الشاعر:

**- فلو أنْكِ في يوم الرخاء سألتِني طلاقك لم أبخل وأنتِ صديقُ**

فمخففة من (أنَّ) ولكن صرح باسمها، وهو ليس ضمير الشأن، بل ضمير الخطاب، وهذا من الضرائر الشعرية عند جمهور من أعملها، لأن شرط إعمالها عندهم أن يكون اسمها ضمير الشأن محذوفا، وخبرها جملة، وهنا جاء خبرها جملة، وهو( سألتني) وأما البيت التالي:

**- بأنْكَ ربيع وغيثٌ مَريعٌ وأنْكَ هناك تكون الثِّمالا**

فحمل على الضرورة عند جمهور من أعمل(أن) المخففة من(أنَّ) لسببين، أحدهما أن اسمها ليس ضمير الشأن المحذوف، بل كاف الخطاب، وثانيهما أن خبرها ليس جملة ، بل اسما مفردا، وهو (ربيعٌ)

**4-أن تكون (أنْ) حرف تفسير .**

تكون (أنْ) عند بعضهم حرف تفسير، وزعم آخرون أنها حرف مصدري في الحالات التي جعلها الأولون فيها تفسيرية ، وقد اشترط القائلون بتفسيريتها لمذهبهم هذا ما يلي :

1َ- أن تقع بين جملتين تامتين ، لأنها لا تفسِّر إلا جملة بجملة ، ومن ذلك ما يلي :

**- فأوحينا إليه أنِ اصْنعِ الفُلْكَ . المؤمنون 23/ 27 .** فـ(أن) هنا تفسيرية، وجملة(اصنع) بيَّنتْ معنى الإيحاء‘ فهي تفسيرية، لا محل لها من الإعراب، ومن لم يقل بتفسيرية(أن) فهي عند ه هنا مصدرية، والمصدر المؤول مفعول به للفعل (أوحينا) والتقدير: أو حينا إليه طلب صنع الفلك .

**- ونُوْدوا أنْ تلكُمُ الجنة أُورثْتُمُوها بما كنتم تعملون. الأعراف 7/43 .** فـ(أن) هنا تفسيرية، وجملة(تلكم الجنة أورثموها) تفسيرللنداء، لا محل لها**، ومن** لم يقل بتفسيرية (أن) فهي عنده مصدرية ، والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض، والتقدير: ونودوا بميراثهم الجنة.

**- وآخرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين . يونُس 10/10(أن) هنا مصدرية عند الجميع**، **لأنها لم تقع بين جملتين تامتين**، بل وقعت بين مبتدأ وخبر، والتقدير، وآخر دعواهم حمدُهم اللهَ، فالمصدر المؤول - كما هو- واضح خبر للمبتدأ (آخِـــرُ)

2َ- أن تُسْبَق بجملة فيها معنى القول دون أحرفه، ومنه الآيتان الأولى والثانية في الفقرة السابقة ، فالإيحاء والنداء مما يدل على القول، وإن لم يكن بلفظه، ومنه أيضا قوله **تعالى " وانطلق الملأ منهم أنِ امْشوا واصبروا على آلهتكم " ص 38/6 .** فالانطلاق هنا ليس انطلاق الأرجل، بل انطلاق الألسن، لذا قيل: إن معنى (انطلق الملأ) معناه قال الملأ، وعلى ذلك (أن) تفسيرية، وجملة(امشوا) تفسير لانطلاق الألسنة ، لا محل لها .

3َ- أن تُسْبَق بجملة فيها لفظ القول مؤوَّلا بغير معناه، ومنه قوله تعالى**" ما قلتُ لهم إلا ما أمرتَني به أن اعْبدوا الله ربي وربَّكم " المائدة 5/11فـ**( ما قلت لهم) معناه (ما أمرتهم) و(أن) تفسيرية،وجملة(اعبدوا الله ربي وربكم) تفسير للقول الذي بمعنى الأمر، وليس تفسيرا للأمر الصريح لاستحالة المعنى عقديا، إذ يصير المعنى أن الله أمر نبيه أن يأمر قومه أن يعبدوا الله ربَّهم وربَّ الله، تعالى عن ذلك، ونُــــزِّهَ ! يقول السعد التفتازاني في حاشيته على الكشاف:" وُضِعَ القولُ موضعَ الأمر نزولا على قضية الأدب الحَسَن لئلا يجعلَ نفسَه وربَّــه معاً آمِرَين، ودلَّ على الأصل بإقحام (أن) المفسرة.

4َ- عدم اقترانها بحرف الجر، فإن اقترنت به وجب كونها مصدرية عند الجميع ، وذلك نحو " كتبتُ إليه بأن قم" أي كتبت إليه بطلب القيام .

**5-أن تكون (أن) حرفا زائدا .**

تكون (أن) حرفا زائدا ، وذلك في المواضع التالية :

**1َ- بعد (لمَّا) الحينية**، ومنه قوله تعالى" **ولمَّا أن جاءتْ رسُلُنا لوطاً سِيءَ بهم**" العنكبوت 29/33 . وزيادتها هنا جائزة قياسا، والتقدير: لما جاءت، ومنه قول الشاعر:

فلما أن توافقنا قليلا أنخنا للكلاكل وارتمينا

2َ**- بين (لو) وفعل القسم** مذكورا أو مقدرا . ومنه :

**- فأقسمُ أنْ لو التقينا وأنتم لكان لكم يومٌ من الشر أظلم .**

(أن)هنا عند بعضهم زائدة لوقوعها بين(لو) وبين فعل القسم (أقسم) المصرح به، و فعل القسم هذا قد يضمر كما في قول الشاعر:

**- أما والله أن لو كنتَ حرَّا وما بالحرِّ أنت ولا العتيق ِ**

والتقدير: أقسم والله أن لو كنتَ حرا، فـ(أن) زائدة عند بعضهم لوقوعها بين (لو) وبين فعل القسم (أقسم) المقدر .

3َ**- بين الكاف و مخفوضها،** وهذا نادر من ضرائر الشعر، ومنه قول الشاعر :

**ويوما تُـوَافِينا بوجه مقسَّمً كأن ظبيةٍ تعطو إلى وارق السَّـلَم**

فالكاف على هذه الرواية، - وهي جر ظبية- حرف جر، وظبية مجرور بها، و(أن) زائدة بينهما

4َ**- بعد (إذْا) ومنه قوله :**

**- فأمْهلَهُ حتى إذا أنْ كأنَّه معاطيْ يدٍ في جمَّة الماء غارِف[[40]](#footnote-40)**

**(أن)**هنا زائدة شذوذا بعد (إذا) والتقدير: فأمهله حتى إذا كأنه معاطي يد ...، والمعنى أن الصياد أمهل حمار الوحش الذي يريد اصطياده حتى صار شديد القرب منه .

**( ألا)**

أداة مركبة من همزة الاستفهام في الأصل و(لا) النافية فصارت تدل على عدة معان مهملة ً تارة ، وعاملةً عمل (إن) تارة أخرى ، وذلك على النحو التالي :

***أولا : أن تكون (ألا) مهملة*** تستعمل (ألا) حرفا مهملا ، وذلك للمعنيين التاليين :

**1-التنبيه**

و تنبِّه في هذه الحالة على تحقق ما بعدها ، وهي حرف مهمل تفتتح به الجملة الاسمية، والفعلية، لذا يقال في إعرابها : هي حرف استفتاح وتنبيه، إذا افتتح بها الكلام، وحرف تنبيه فقط إذا كانت في درج الكلام. ومن هذا القبيل :

- **ألا إنهم** هم السفهاء ولكن لا يعلمون. البقرة 2/13 .

- ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أُمَّة معدودة ليقوُلُنَّ ما يحبسه ؟ **ألا يوم** يأتيهم ليس مصروفا عنهم . هود 11/8 .

**2-العرض و التحضيض**

وتتصدر في هذه الحالة الجملة الفعلية ، والعرض طلب الشيء برفق ، أما التحضيض فطلب الشيء بِحَثٍّ أو غلظة و إزعاج . ومنه ما يلي :

- **ألا تحبُّون** أن يغفر الله لكم. النور 24/22 .

فـ(ألا) هنا حرف عرض أو حض ، فالنص يحض الناس على محبة أن يغفر الله لهم، وتلك دعوة إلى التوبة عن المعاصي، فمغفرة الله لهم مترتبة على توبتهم، وعلى ذلك تحمل (ألا) في قوله تعالى:

- **ألا تقاتلون** قوما نكثوا أيمانهم ، وهمُّوا بإخراج الرسول .التوبة 9/13 .

ومما اختلف فيه فحمل بعضهم(ألا) فيه على الحض قول الشاعر:

- **ألا رجلا** جزاه الله خيرا يدلُّ على محصِّلة تَبيتُ

فقد جعل بعضهم(ألا) في هذا البيت حرفا مهملا يفيد معنى الطلب بحض، والتقدير والمعنى: ألا أجد رجلا ، مفعول به لفعل محذوف، وذلك على سبيل الرجاء أو التمني, وجعل آخرون(ألا) هنا نافية للجنس عاملة عمل (إن)التي خرجت هنا مع الهمزة إلى معنى التمني، ونُـوِّنَ اسمها للضرورة الشعرية. والمحصلة المرأة الماهرة الصَّناع ، وتبيت : ترغب في الزواج.

***ثانيا : أن تكون (ألا) نافية للجنس عاملة عمل(إنَّ)***

تستعمل (ألا) عاملة عمل (إنَّ) دالة على المعاني التالية :

**1-الإنكار التوبيخي، ومنه**

- **ألا طعانَ** ألا فرسانَ عاديةً إلا تجشؤكَم حول التنانير .

(ألا)هنا معناها الإنكار وتوبيخ القوم لعدم سمو همتهم إضافة إلى التعجب من حالهم هذه، وهي مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية للجنس، وطعانَ اسم (لا) و خبرها محذوف ، تقديره كائن أو موجود، والتجشُّؤ هو خروج قرقعة من الفم ، وذلك لشدة امتلاء المعدة بالطعام والشراب والهواء، يهجو الشاعر هؤلاء القوم بأنهم جبناء لا همَّ لهم سوى الأكل والشرب حتى التخمة، وعلى هذا النحو يحمل قول الشاعر :

**- ألا ارعواء** لمن ولَّت شبيبته وآذنت بمشيب بعده هرم

و الارعواء الرجوع عن الخطأ، ، وولت شبيبته : ذهب شبابه، فآذن ذلك، أي أنبأ بشيب بعده هرم . يوبخ الشاعر مَنْ ما يزال مُصِرَّا على العبث واللهو ، وقد صار شيخا هرما

**2-التمني، ومنه :**

**- ألا عمرَ** ولَّى مستطاعٌ رجوعه فيرأب َ ما أثأتْ يدُ الغَفَلاتِ

يتمنى الشاعر أن يرجع له شبابه، وأن يرأب، أي يصلح، ما أثأته أي أفسدته يد الغفلات، أي مصائب الدهر. وجملة (ولَّى) صفة لـ(عمر) محلها النصب، وأما جملة(مستطاع رجوعه) فخبر لـ(ألا) على الراجح، محلها الرفع.

3-**الاستفهام عن النفي، ومنه** :

**- ألا اصطبارَ** لسلمى أم لها جلدٌ إذا ألاقي الذي لاقاه أمثالي.

يستفهم الشاعر عمَّا إذا كانت هذه المرأة التي يحبها غير قادرة على الصبر إذا ما مات أم أن لها جلدا، أي صبرا على ذلك ؟ وهو استفهام فيه معنى النفي، وكأنه يشير إلى أن هذه المرأة لن تكون قادرة على الصبر إذا ما فجعت بموته.

**(إنْ) المكسورة المخففة**

وهي أداة مكونة من الهمزة المكسورة والنون الخفيفة، وهي حرف مبني على السكون، يستعمل لمعاني الشرط، والنفي والتوكيد زائدة وغيرَ زائدة ، وهذه أبرز معانيها، وقد نَسَب إليها بعضُهم استعمالين آخرين ، وهما أن تكون بمعنى(قد) التحقيقية ، وأن تكون ظرفا بمعنى (إذ) و سنقتصر على الحديث عمَّا نسبه الجمهور من معان إلى هذا الحرف الذي سنلاحظ أنه يكون مهملا في بعض استعمالاته كما يكون عاملا في بعضها الآخر . وفيما يلي تفصيل القول في ذلك

**أولا : (إن) حرف شرط جازم**

تستعمل (إن) حرفَ شرط جازما، وقد تتصل بـ(لا) النافية، فتصبح (إلَّا) بعد الإدغام ، مما قد يوهم بأنها (إلا) الاستثنائية، وفيما يلي الشواهد الموضِّحة :

**- إن تعودوا نعُدْ. الأنفال 8/**19. (إن) هنا حرف شرط جازم، و(تعودوا) مجزوم به لأنه فعل الشرط، و(نعد) مجزوم به أيضا، لأنه جواب الشرط .

**- إلا تنصروه فقد نصره الله . التوبة 9/40**. (إلا)مكونة من(إنْ)الشرطية الجازمةو(لا)النافية المهملة، و(تنصروه)مجزوم بـ(إن) لأنه فعل الشرط، وجملة(قد نصره الله) جواب للشرط الجازم مقترنة بالفاء، فمحلها الجزم .

**ثانيا : (إن) حرف ناف**

تستعمل (إن) حرفا نافيا، فتدخل على الجملة الفعلية، فتكون مهملة، كما تدخل على الجملة الاسمية، فيجيز بعضهم إعمالها عمل (ليس) بشروط إعمال(لا) هذا العمل، وأهم هذه الشروط عدم انتقاض نفيها، وعدم تقدم خبرها على اسمها، وفيما يلي توضيح استعمالها نافية لكل من الجملتين الاسمية والفعلية :

**أ – تنفي (إن) الجملة الفعلية**، ولا يشترط في ذلك خلافا لبعضهم أن يكون بـعدها(إلا) أو (لمَّا) التي بمعناها ، ومن استعمالها نافية للجملة الفعلية ما يلي :

**- ولَيَحْلِفُنَّ إن أردْنا إلا الحُسْنى،والله يشهدُ إنَّهم لكاذبون. التوبة9 /** 108(إن) هنا حرف ناف مهمل نفى جملة فعلية ماضوية الفعل، والملاحظ أن الجملة المنفية متبوعة بـ(إلا)

- **لئن زالتا إن أَمْسكَهما من أحد من بعده . فاطر 35/**41(إن) هنا حرف ناف مهمل نفى جملة فعلية ماضوية الفعل، والملاحظ أن الجملة المنفية غير متبوعة بـ(إلا)

- **إنْ أدري أقريبٌ ما تُوعَدُون.الجن 72/** 25(إن)هنا حرف ناف مهمل،نفى جملة فعلية مضارعية الفعل، والملاحظ أن الجملة المنفية غير متبوعة بـ(إلا)

**ب – (إن) تنفي الجملة الاسمية** ، وقد أجاز بعضهم في هذه الحالة إعمالها عمل (ليس) ومنع ذلك بعضهم الآخر، والأكثر في السماع إهمالها وهو الراجح . وفيما يلي الاستشهاد للحالتين :

- **إنِ الكافرون إلا في غُرور. الملك 67/20**(إن) حرف ناف مهمل، نفى الجملة الاسمية، فالكافرون مبتدأ، وإلا أداة حصر (وفي غرور) خبر، أو متعلق بالخبر . وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: **إنْ أمهاتُهمْ إلا اللائي ولدْنَهم .المجادلة** 58/2 .

**- إنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنَنَّ قبل موته. النساء 4/158**(إن)هنا حرف ناف مهمل، نفى جملة اسمية، مبتدؤها محذوف، والتقدير: إن أحدٌ من أهل الكتاب، و(إلا) أداة حصر، والقسم المحذوف، وجوابه (ليؤمِنّنِّ) خبر للمبتدأ المحذوف.

- **إنْ منكم** **إلا واردُها . مريم 19/ 71**(إن) هنا حرف ناف مهمل، نفى جملة اسمية، مبتدؤها محذوف، والتقدير، إن أحدٌ منكم إلا واردُها، ، والخبر هو واردُها .

\*\* \*\* \*\*

- **إنْ هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين** .

**- إنِ الذين تدعون من دون الله عباداً[[41]](#footnote-41) أمثالكم . الأعراف 7/**194(إن) هنا حرف ناف عامل عمل (ليس) نفى الجملة الاسمية، والذين اسمه، وعباداً خبره منصوب، وعلى ذلك يحمل ما سمع عن العرب من قولهم: إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية ، وإنْ ذلك نافعَك ولا ضارَّك.

**ثالثا : (إن) التوكيدية المخففة من (إنَّ)**

تُخَفَّفُ (إنَّ) فتصبح (إنْ) فتبقى دالة على التوكيد، وتؤكد مضمون الجملة الفعلية، كما تؤكد مضمون الجملة الاسمية، وفيما يلي بيان أحكام دخولها على كل منهما.  
1**- (إنْ) المؤكدة للجملة الفعلية**

اتفق النحاة على إهمال (إنْ) المخففة من (إنّ) إذا دخلت على الجملة الفعلية، والمقيس في ذلك أن تدخل على الفعل الناسخ ماضيا أو مضارعا، أما دخولها على الفعل غير الناسخ فالجمهور على أنه مقصور على السماع . و يأتي بعد (إن) المخففة في هذه الحالة لام مفتوحة، تعرف باللام الفارقة ، وسميت الفارقة لأنها تفرق بين (إنْ) المخففة المؤكدة هذه، و(إن) النافية، وهذا واضح في الشواهد التالية :

- و**إنْ** كانت **لَكبيرة** إلا على الذين هدى الله . البقرة 2/ 143(إن) هنا مخففة من(إنَّ) مؤكدة لجملة فعلية، فعلها من النواسخ، وهو (كان) واللام في (لكبيرة) هي اللام الفارقة، ويرى بعضهم أنها اللام المزحلقة التي تفيد التوكيد، فصار لها هنا معنى آخر هو التفريق كما لا حظنا. وعلى هذا النحو نحلل النصوص التالية :

**وإنْ كادوا لَيَفْتنُنونك** عن الذي أوحينا إليك. الإسراء 17/ 73.

**وإنْ يكاد الذين كفروا لَيُزْلِقونك** بأبصارهم . القلم 68/51.

**وإنْ نظنُّك لمن** الكاذبين . الشعراء 26/186 .

شلَّتْ يمينُك **إنْ قتلتَ لمسلماً** حلَّتْ عليكَ عقوبة المتعمِّد

وفي الشاهد الأخير(إن)مخففة من(إنَّ) مؤكدة لجملة فعلية، فعلها ليس من النواسخ، وهو (قتلت) واللام هي اللام الفارقة، ومسلما مفعول به للفعل(قتلت) وقيل: إنها النافية، واللام في (لمسلما) بمعنى(إلا) والمعنى والتقدير ما قتلت إلا مسلما.

**2-(إنْ) المؤكدة للجملة الاسمية .**

أهملها الكوفيون، وإهمالها أشهر كما يقول المرادي، وأجاز البصريون إعمالها، وذلك نحو "إن زيدا قائم" و" إن زيدٌ لقائم" فإن عملت فحكمها حكم الثقيلة، كما يقول المرادي، أي: يجوز دخول اللام على خبرها، وإن أهملت لزم دخول هذه اللام عليه تمييزا لها عن (إن) النافية. وهي في هذه الحالة لام توكيد، لأن أصلها المزحلقة كما يرى بعضهم، ولام تفريق، لأنها تفرق بين إن المخففة من الثقيلة وإن النافية، قال الأخفش في(معاني القرآن)2/443-443:"إنْ هذان لساحران خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة قوم، يرفعون ويدخلون اللام ، ليفرقوا بينها وبين التي في معنى(ما)" يريد الأخفش ما النافية.وفيما يلي الاستشهاد للإعمال والإهمال :

**- إنْ عمرا لمنطلق**.(إن)في هذا المسموع عن العرب مخففة من(إنَّ)عاملة عملها،ومفيدة لمعناها، وهو التوكيد للجملة الاسمية، وعمرا : اسمها، واللام للتفريق، والمجيء باللام هنا جائز لأن(إن) أُعْمِلَت وإعمالها قرينة على أن(إنْ) المؤكدة ، لا النافية، ومنطلق خبر .

\*\* \*\* \*\*

**- إنْ[[42]](#footnote-42)هذان لساحران**.طه 20/63.(إن) هنا مخففة ومهملة في هذه القراءة، وهذان مبتدأ، واللام فارقة، و(ساحران) خبر للمبتدأ، واللام هنا واجبة لأن(إنْ) مهملة، فلا قرينة دالة على الإثبات والتوكيد هنا سوى هذه اللام. .

- وإنْ مالكٌ للمُرْتجَى إن تقعقعت رحى الحرب ، و دارتْ عليَّ خطوب.

- إنِ القومُ والحيُّ الذي أنا منهمُ لأهلُ مقاماتٍ وشاءٍ وجاملِ

**رابعا : (إن) حرف زائد .**

تستعمل (إنْ) حرفا زائدا للتوكيد، وذلك في المواضع التالية:

1-بعد(ما)النافية للجملة الفعلية، وللجملة الاسمية، وزيادتها هنا جائزة، و تكفُّ(ما)الحجازية عن العمل، ومن ذلك ما يلي :

- **ما إنْ أتيتُ** بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعتْ سوطي إليَّ يدي

(إن)هنا زائدة بعد(ما) النافية للجملة الفعلية، والتقدير : ما أتيت بشيء أنت تكرهه، ثم يستأنف بـ(إذن) التي هي حرف جزاء وجواب عند سيبويه، ومعنى الكلام المستأنف: إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إليَّ يدي، والشاعر يدعو على نفسه بشلل اليد إن فعل ما يكرهه المخاطب .ومما زيدت فيه(إن) بعد(ما) النافية قول الحماسي :

**وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قدَ اخلقتْ وبيتٌ لميْتٍ بالفِناء جديد**

والتقدير : ما يزال، و(إن) زائدة بعد ما النافية للجملة الفعلية المضارعية، ومن زيادتها بعد(ما) النافية للجملة الاسمية قول الشاعر:

- **فما إن طبُّنا جبن** ولكن منايانا ودَولة آخرينا .

(إن)هنا زائدة بعد(ما)النافية للجملة الاسمية، وقد منعت زيادتها(ما)من أن تعمل عمل (ليس) والطِّبُ العلة أو السبب، والمراد هنا العادة، يريد أنهم لم يُـغْـــلبوا في هذه المعركة لأنهم جبناء، بل لأن الأيام دول، يوم لك، ويوم عليك، وهذا اليوم ليس لهم، بل لغيرهم .

2-بعد (ما) الاسمية الموصلة، و زيادتها هنا شاذة، ومنه :

يرجِّي المرء **ما إن لا يراه** وتعرض دون أدناه الخطوب

(إن) هنا زائدة شذوذا بعد(ما)الاسمية الموصلة، فـ(ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به للفعل(يرجِّي) يريد أن الإنسان الطموح يتطلع إلى الأشياء البعيدة التي لا يراها، والتي تحول دون أقربها إليه الخطوب، أي المخاطر والأهوال والأحداث الجليلة .

3-بعد (ما) المصدرية الزمانية،و زيادتها هنا أيضا شاذة،ومن ذلك :

ورجِّ الفتى للخير **ما إن رأيته** على السن خيرا ما يزال يزيد

(إن) هنا زائدة شذوذا بعد(ما)الحرفية المصدرية الزمانية، والمصدر المؤول منها ومن الفعل(رأيته) منصوب على الظرفية الزمانية، ومتعلق بالفعل(رجِّ) والتقدير: ورجِّ الفتى للخير مدة رؤيتك إياه ما يزال يزيد خيرا على السن .

4-بعد (ألا) التنبيهية،وقيل: إن زيادتها هنا نادرة، ومنه :

- **ألا إن سرى** ليلي فبتُّ كئيبا أحاذر أن تنأى النوى بغضوبا .

(إن)هنا زائدة بعد(ألا) التنبيهية،وسريان الليل معناه مسيره، والمسير هنا كناية عن طول ليل هذا الشاعر الكئيب، المنكسر من الحزن، خوفا من أن تشط الغربة بحبيبته(غضوب)

(أَمْ)

حرف مهمل مكون من الهمزة المفتوحة والميم الساكنة ، وتستعمل على أربعة أوجه، وهي أن **تكون متصلة** **، ومنقطعة ، وزائدة ، وحرف تعريف**، وفيما يلي توضيح هذه الأوجه الأربع .

**أولا : أم المتصلة**

هي حرف عطف، **وسُمِّيتْ متصلة لأن** ما قبلها وما بعدها لا يُسْتَغنى بأحدهما عن الآخر، وتكون في هذه الحالة للاستفهام أو للتسوية ، **وسُمِّيتْ معادِلة** لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية عندما تكون للتسوية، ولمعادلتها لها في الدلالة على الاستفهام عندما تكون للاستفهام ، وفيما يلي توضيح لاستعمالها في معنيي التسوية والاستفهام :

**1-أم المتصلة الاستفهامية**

(أم) هذه هي التي يطلب التعيين بها، وبالهمزة التي تتقدمها لفظا أو تقديراً، وذلك نحو **" أزيد في الدار أم عمرو ؟ " أو " زيدٌ في الدار أم عمرو ؟ "** والكلام معها استفهام، ينتظر المتكلم بها جوابا من المخاطب، وهي تعطف مفرداً على مفرد كما في المثال السابق،وتعطف شبه جملة على شبه جملة ، نحو أصباحا ستسافر أم مساء ؟ و تعطف جملة على جملة،لا يشترط فيهما التجانس من حيث الاسمية والفعلية، وفيما يلي الشواهد الموضِّحة لهذه الأحكام

- **أزيدٌ في الدار أم عمرو** ؟ أم هنا متصلة تفيد الاستفهام، وهي حرف عطف، عطفت مفردا، وهو(عمرو) على مفرد وهو(زيد) ولابد من الإجابة بتحديد المسؤول عنه، ولا يستغنى بما قبلها عما بعدها، ولذلك تسمى(أم) المتصلة، والكلام معها إنشائي.

* **فقمتُ للطيف مرتاعا فأرّقني فقلتُ: أهي سرتْ أم عادني حُلُمُ**

أم هنا عند بعضهم متصلة تفيد الاستفهام، وهي حرف عطف، عطفت جملة على جملة، والجملتان المتعاطفتان كما هو واضح غير متجانستين، فالمعطوفة (عادني حلم) فعلية، والمعطوف عليها(هي سرت) اسمية، ولابد من الإجابة بتحديد المسؤول عنه، ولا يستغنى بما قبل (أم) عما بعدها، ولذلك تسمى(أم) المتصلة، والكلام معها إنشائي، والجملتان المتعاطفتان هنا مقول القول في محل نصب

-**أأنتم تخلقونه أمْ نحن الخالقون** الواقعة 56/6 . وحال(أم) هنا كحالها في الشاهد السابق، إلا أن الجملتين المتعاطفتين بها هنا متجانستان، وهما اسميتان. والجملتان المتعاطفتان هنا حسب الظاهر خارج السياق ابتداء، لا محل له من الإعراب

**2-أم المتصلة الدالة على التسوية**

(أم) هذه تتقدمها همزة ظاهرة، أو مقدرة خرجت من معنى الاستفهام إلى معنى التسوية، وذلك نحو " سواء عليَّ أسافر زيد أم لم يسافر" والكلام مع (أم) المعادلة في هذه الحالة خبري قابل للتصديق والتكذيب، لذا لا ينتظر المتكلم بها من مخاطَبِه جواباً، ولا تعطف إلا جملة على جملة، قابلتين للتأويل بالمفرد، و لا يشترط فيهما التجانس من حيث الاسمية والخبرية . ومن هذا القبيل ما يلي

**- سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا، مالنا من مَحِيْص** . إبراهيم 14/21 (أم ) متصلة خرجت إلى معنى التسوية، والكلام معها خبري، وهي حرف عطف، عطفت جملة على جملة، وكلاهما في محل رفع، والتقدير : سواء علينا جزعُنا وصبرُنا . وذلك على الخلاف المشهور في إعراب هاتين الجملتين. فمنهم من يرى أن الجملة مبتدأ، خبره (سواء) ومنهم من قال إنها فاعل للمصدر(سواء) المؤول بـاسم الفاعل(مستوٍ)

- **سواءٌ عليهم أ سْتَغْفَرْتَ لهم أم لم تستغْفِرْ لهم** . المنافقون 63/6. (أم) هنا كما هي في الشاهد السابق، والتقدير: سواء عليهم استغفارك لهم، وعدمُ استغفارك لهم.

- **وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم،** **سواءٌ عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون**. الأعراف 7/193، والتقدير: سواء عليكم دعوتكم إياهم، وصمتكم. واللافت أن الجملتين المتعاطفتين هنا غير متجانستين، فالمعطوفة (أنتم صامتون) اسمية، والمعطوف عليها(دعوتموهم) فعلية

**- ولسْتُ أبالي بعد فقديَ مالكاً أموتيَ ناءٍ أم هو الآن واقعُ**

التقدير هنا: لست أبالي بعد فقدي مالكا بُــعْــدَ أجلي، ووقوعَه الآن، والجملتان المتعاطفتان هنا في محل نصب مفعول به للفعل(أبالي)

**ثانياً : أم المنقطعة**

هي أم التي لا ارتباط نحويا لما بعدها بما قبلها، لأن معنى الإضراب ملازم لها كما سنرى، ولذلك كانت من أدوات الاستئناف، وقد تتجرد لمعنى الإضراب، وقد يضاف إليه معنى الاستفهام، وذلك بحسب القرائن والمعطيات، والإضراب قد يكون إبطالياً، فيكون ما ما بعد(أم) مبطلا لما قبلها، وقد يكون انتقاليا، فيكون ما قبل(أم) كالمسكوت عنه، وفيما يلي الشواهد الموضِّحة.

1. **فما أنت بنعمة ربِّكَ بكاهن ولا مجنون أم** يقولون شاعر نتربَّصُ به ريبَ المنون الطور 29-30

(أم) هنا منقطعة، فهي حرف استئناف، والجملة التي تليها استئنافية، ومعناها هنا الإضراب الانتقالي، لأن قولهم عن النبي: إنه شاعر، لا يبطل نفيَ الله للجنونِ، أو الكهانة عن نبيه . وكذلك الحال في النص التالي:

- **تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه من رَّبِّ العالمين**. أم يقولون: افتراه، بل هو الحق من رَّبكَ. السجدة 32/2-3

**2- - ألهم أرجلٌ يمشون بها** ، أمْ لهم أيدٍ يبطشون بها. الأعراف 7/195. والحال هنا كما هو فيما سبق إلا أن الإضراب الانتقالي، هنا ينضاف إليه معنى الاستفهام، وكذلك الحال في النص التالي.

3- هل يستوي الأعمى والبصير أمْ هل تستوي الظلمات والنور . الرعد 13/16 .

4- **هل لك قِبَلنا حقٌ ؟ أم أنت رجلٌ ظالم**.( أم) هنا للإضراب الإبطالي، فوصفه بالظلم يبطل أن يكون له حق عليهم .

**ثالثا: (أم) حرف للتعريف**

تستعل (أم) في بعض اللهجات العربية اليمنية كطيِّئ حرفا للتعريف كلام التعريف تماماً، وهذا الاستعمال يحفظ ، ولا يقاس عليه ، ومنه ما يلي:

-ليس من امْبرِّ امْصيامُ في امْسفر . أي ليس من البر الصيام في السفر .

**ذاكَ خليلي وذو يواصلني يرمي ورائي بامْسهمِ وامْسَلِمَهْ[[43]](#footnote-43)**

**المعنى** أنه صديقه الذي يحرص على وصله، والذي يدافع عنه بالسهام والحجارة، و(ام) هنا اسم موصول بمعنى الذي وذلك خاص باللغة الطائية .

**رابعاً : (أم) زائدة**

حكم بعضهم على(أم) بالزيادة في بعض الاستعمالات، وعلى التسليم لهم بذلك فزيادتها شاذة تحفظ ولا تقاس ، ومما حمل على ذلك ما يلي :

- و نادى فرعونُ قومَه قال : يا قومي أليس لي مُلْكُ مِصْرَ، وهذه الأنهارُ تجري منْ تحتيَ  **أفلا تُبْصرون، أم أنا خير من هذا الذي هو مَهِيْنٌ، ولا يكاد يُبِيْنُ**. الزخرف 43/ 51-52 فقد ذهب بعضهم إلى أن(أم) زائدة هنا، بين الفعل(تبصرون) ومفعوله، وهو جملة(أنا خير)

**يا ليت شعري ولا منجى من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم**

(أم) هنا زائدة عند بعضهم، وقد فصلت بين المصدر(شعري) ومفعوله، وهو جملة(هل على العيش بعد الشيب من ندم)

**حــــــيــــــــــــث**

**أولا : تعريفها ولغاتها .**

اسم مكان، في المشهور، والأفصح أنه مبني على الضم " حَيْثُ " وسمع فيه "حَوثُ " بالبناء على الضم أيضا وسمع فيه " حيثَ " بالبناء على الفتح ، و" حيثِ " بالبناء على الكسر ، وبعض العرب تعربها ، ومما يُحْـتَـمَـلُ فيه ذلك كما يحتمل فيه البناءُ على الكســــــــــر قراءة من قرأ :

- **والذين كَــذّبوا بآياتنا سنستدرجُهم من حيثِ لا يعلمون .** **الأعراف 7/182**

**ثانيا : أحـــــكامـــها** .

**1-الغالب المعمول به عند الجمهور أن (حيث) ظرف مختص،** أي لا يخرج إلى غير الظرفية من المعاني النحوية، فلا يقع مثلا مفعولا به، أو مسندا أو مسندا إليه ولا يخرجها جرها بحرف الجر أحيانا**(الباء، من ، إلى، على ، في)** عن الاختصاص لأن ذلك لا يخرجه عن أشباه الجمل، وسمع وقوعها في محل جر بالإضافة كما جعلها بعضهم لأسباب عقدية مفعولا به في محل نصب في بعض النصوص القرآنية ،وفيما يلي النصوص الموضِّحة لما تقدم :

**فأصبح في حيث التقينا شريدَهم طليقٌ ومكتوفُ اليدين ومِـزْعَـفُ [[44]](#footnote-44)**

في هذا البيت جاء اسم المكان(حيث) في محل جر بحرف الجر، ولكن ذلك لم يخرج(حيث)عن معنى الظرفية المكانية، بل يؤكدها، والجار والمجرور متعلقان بالفعل(أصبح) لما فيه من معنى التحول، أو متعلق بـ(مكتوف)

**سلامٌ بني عمرو على حيث هامُكم جمالَ النَّـدِيِّ والقـــنــا والسَّـنَـــــــوَّرِ[[45]](#footnote-45)**

في هذا البيت جاء اسم المكان(حيث) مبنيا على الضم في محل جر بحرف الجر(على) والجار والمجرور متعلقان بخبر المبتدأ (سلام) وكأن التقدير والمعنى : سلام ملقىً على حيث هامكم، و(بني) منادى، والجملة الندائية اعتراض بين المبتدأ(سلام) و خبره، و(هامكم) مرفوع على أنه فاعل لفعل محذوف، والتقدير: على حيث استقر هامكم، أو مبتدأ ، محذوف الخبر، والتقدير: على حيث هامكم كائن أو موجود، وفي التقديرين دليل على جواز إضافة(حيث)إلى جملة حذف أحد ركنيها.

* **فشدَّ ولم تفزع بيوتٌ كثيرة لدى حيثُ ألقت رحلها أمُّ قَشْعَــمِ[[46]](#footnote-46)**

روى هذا البيت أيضا : إلى حيث ، ففي الرواية الثانية جاءت حيثُ مجرورة بـ (إلى) وهذا لا إشكال فيه ، وأما الرواية الأولى فجاءت فيها(حيث)مجرورة بالإضافة، وهذا نادر لا يقاس بدعوى أن(حيث) ظرف مختص .

**-الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتًه . الأنعام 6/ 124.**

اختلفوا في إعراب (حيث) في هذه الآية والراجح للخلو من التعسف أنها مفعول به للاسم (أعلم) المحمول هنا على أنه بمعنى(عالم) وذلك لأن التفضيل يعني أن الله تعالى وغيره يعلمان المكان الذي سيُنْزِلُ فيه رسالته، ولكنه تعالى أكثر علما بذلك من غيره، والأصل العقدي يقوم على أنه تعالى مختص دون غيره بهذا العلم ، لذلك قيل : إن حيث هنا اسم مبني في محل نصب مفعول، والمعنى والتقدير على ذلك: الله عالمٌ مكانَ جعل رسالتــــــــــــــه، وأصر آخرون على عدم تصرف(حيث) فركبوا متن التأويل البعيد والمفتعل لإبقائها على ذلك في هذه الآية وغيرها مما يوحي فيه ظاهر الكلام بعدم اختصاص(حيث) على ما وضحته كتب الأدوات النحوية كـ(مغني اللبيب) لابن هشام.ومما جاءت فيه(حيث) مفعولا به قول الحماسي:

**أسرعت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدر.**

يقول ابن جني :... وجعل(حيث) اسما مثل الآية (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، والتقدير: فما جاوزت مكانَ أو زمانَ انتهاء القدر بك

**2-تلازِمُ (حيث) عند الجمهور الإضافة إلى الجملة** ، لذا جعلوا ما أضيفت فيه إلى المفرد شاذا يحفــظ ، ولا يقاس عليه ، والجدير بالذكر أن مجمع اللغة العربية القاهري أجاز إضافتها إلى المفرد عملا برأي الكسائي في ذلك ولاستيعاب ما في المدونة اللغوية من هذه الإضافة في القديم والحديث ، والراجح أنه لا غضاضة في هذه الإجازة، ومن هذا القبيل ما يلي :

* **ونطْعَنُهم حيث الكُلى بعد ضربهم ببيض المواضي حيثُ ليِّ العمائم** .[[47]](#footnote-47)

**روي البيت بجر(ليّ)**على الإضافة إلى المفرد، وبرفعه على الإضافة إلى الجملة، وعلى ذلك (ليُّ) مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير : حيث لي العائم حاصل، أما(الكلى) فيتعذر ظهور الحركة على آخرها ، لذا تحتمل (حيث) في هذا البيت الإضافة إلى الجملة، وهو الكثير الفاشي، لذا يحسن حمل البيت عليه، كما تحتمل الجر و الإضافة إلى المفرد . ومما سمع فيه رفع ما بعد(حيث) وإضافتها إلى الجملة، وجره وإضافتها إلى المفرد البيت الشاهد.

* **أما ترى حيث سهيلُ طالعا نجما يضيء كالشهاب ساطعا** . [[48]](#footnote-48)

فقد روي هذا البيت برفع (سهيل) وهو اسم نجم في السماء كما روي بجره، وهو في حالة الرفع مبتدأ خبره محذوف، والتقدير: حيث سهيل موجود طالعا، وطالعا : حال، وهذا الشاهد وسابقه فيهما ما يوضح ويؤيد أن(حيث) يمكن أن تضاف إلى جملة اسمية محذوفة الخبر.

**3-تقترن(حيث)بـ(ما)الكافة فتصبحان أداة شرط جازمة**،وذلك خلاف لاتصالها بـ(ما) المصدرية أو الزائدة ، وفيما يلي توضيح ما تقدم .

* **حيثما تستقمْ يقدرْ لك اللــــــــــــــهُ نجاحا في غابر الأزمان**

ففي هذا البيت (حيثما) أداة شرط جزمت فعلين مضارعين، ويزعم النحاة أن (ما) جَعَلَتْ(حيث) شرطية جازمة، وكفتها عن الإضافة إلى ما بعدها، لئلا تكون عاملة للجزم وللجر، وهذا ما ليس موجودا في العوامل النحوية عندهم . والجدير بالذكر أن هذا البيت مما يستدل به النحاة على أن (حيث) تدل على الزمان أحيانا ، وكأن المعنى أن الله يقدر لك النجاح مدة استقامتك.

* **وأنني حيثما يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظورُ** .[[49]](#footnote-49)

التقدير: أنني أدنو ، فأنظر حيث يثني الهوى بصري من حيث سلكوا، وقد ذهب النحاة إلى أن(ما)زائدة مع حيث هنا ،لأنها ليست شرطية بدليل عدم جزمها، وتحاشوا القول بأنها مصدرية لأن (حيث) لا تضاف إلى مفرد عند جمهورهم كما لاحظنا.

**الــبــــاء الــمـــفـــردة.**

**أولا: الباء الجارة الأصلية، وأبرز معانيها.**

**1-الإلصاق**، وهو ضربان : حقيقي ومجازي، أما الحقيقي فنحو "أمسكت **بالقلم**" وأما المجازي فنحو "مررت **بزيد**". وقيل إنها في المثال الثاني تدل على الفوقية المجازية، لأنه يقال: مررت على الشيء كما يقال: مررت به، ومن الأول قول تعالى : وإنكم لتمرون **عليهم** مصبحين وبالليل. الصافات 37/137.

2-**التعدية** . وتسمَّى باء النقل، وهي المُعاقِبَة لهمزة التعدية في تصيير الفاعل مفعولا،لذا لا تجتمعان،ومنه قوله تعالى:ذهب الله **بنورهم** ، وتركَهم في ظلمات لا يبصرون .البقرة2/17 وقرئ: أذهب الله نورهم.وأما قوله تعالى : ...وشجرةً تخرج من طور سيناء تُنبتُ **بالدهن**، وصِبغٍ للآكلين . المؤمنون23/20فقيل الباء في"بالدهن" زائدة، وقيل: هي للمصاحبة، والظرف حال، وقيل : إن "أنبت" هنا بمعنى"نبت" أي : مما جاء "فعل" وأفعل" منه بمعنى واحد، كقول زهير:

رأيتَ ذوي الحاجات حولَ بيوتهم قطينا حتى إذا أنبت البقلُ

3-**الاستعانة أو الواسطة** . أي أن ما تجره أداة لإنجاز الحدث الذي تتعلق به هي و مجرورها، وذلك نحو"كتبت بالقلم" و"ضربت بالسيف" و"قطعت بالسكين"

4-**السببية** .أو التعليل، أي أن ما تجره سببٌ أو علة للحدث الذي تتعلق به هي و مجرورها ،وذلك نحو قوله تعالى: وإذْ قال موسى لقومه: يا قومي إنكم ظلمتم أنفسكم **باتخاذكم** العجل. البقرة.2/54. ومن ذلك قول الشاعر:

قد سُقِيَتْ آبالُهم **بالنار**  والنارُ قد تَشْفي من الأُوارِ

5-**المصاحبة، أو المعية** .والمراد بذلك أن أحد المشتركين بالحدث الذي تتعلق به الباء ومجرورها وقع الحدث، وهو مصحوب بمجرورها ،وذلك نحو **قول أبي كبير الهذلي:**

ولقد سريتُ على الظلام **بمِغْشَم** جَلْد من الفتيان غيرِ مثقل[[50]](#footnote-50)

ومن هذا القبيل قوله تعالى : "إن المتقين في جنات وعيون. ادخلوا **بسلام** آمنين. الحِجْر15/45-46. ومنه قوله تعالى أيضا : "وقيل : يا نوحُ اهبِطْ **بسلامٍ** منَّا، وبركات، وعلى أمم ممن معك" وهود11/48. وقال تعالى" وإذا جاؤوكم قالوا : آمنا، وقد **دخلوا بالكفر**، وهم قد **خرجوا به**، والله أعلمُ بما كانوا يكتمون".المائدة.5/61. أي: دخلوا إليكم متلبسين بالكفر، وخرجوا متلبسين به، ولم ينتفعوا بما سمعوه منكم. ومنه قوله تعالى: "إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح **بحمد ربك**، واستغفره إن كان توابا. النصر"110/1-3. المراد سبحِ الله أي نزِّه عن الإشراك مصاحبا تسبيحك بحمد ربك حمد شكر على إفضاله، وعلى ذلك حملت الباء في أحد التوجيهات في "سبحانك اللهم، و**بحمدك** ، وتبارك اسمُك، وتعالى جدُّك"

6-**الظرفية** .المراد بذلك أن الباء ومجرورها يمثلان ظرفا مكانيا أو زمانيا للحدث الذي يتعلق به هذا الظرف، ومنه قول تعالى " ولقد نصركم الله **ببدر** ، وأنتم أذلَّةٌ" آل عِمران.3/123. وقوله تعالى" إنَّا أرسلنا عليهم حاصِبا، إلا آلَ لوط ، نجيناهم **بسَحرٍ**" القمر54/34.

7**-البدل** . المراد بذلك أن مجرور الباء في هذه الحالة مبدل بغيره،أو مبدل غيره به،أي مستغنىً عنه بغيره، وذلك نحو قول الشاعر:

فليتَ لي **بهم** قوما إذا ركبوا شنوا الإغارة فُرسانا ووحدانا

أي: ليتني أستغني عن هؤلاء القوم الجبناء بقوم شجعان. يتمنَّى أن يستبدل بقومه لجبنهم قوما شجعانا غيرهم، وجاء في الأمثال" فلانٌ يرضى من الغنيمة بالإياب" أي أنه إذا خاض معركة يرضى بأن يعود سالما بدلا من أن يعود غانما.

**8-المقابلة**.وهي الداخلة على الأعواض، وذلك نحو" اشتريت الكتاب بألف ليرة" وكأن الكتاب مقابَـل بألف ليرة أو العكس،وليست الباء هنا بعيدة عن معنى الواسطة، لأن ألف الليرة الوسيلة التي اشتُرِي بها الكتابُ.

**9-المجاوزة** . أي بمعنىً من معاني(عن) وقيل: إنها يجب أن تعلق في هذه الحالة بالسؤال، أو ما في معناه، ومن هذا القبيل قوله تعالى " ثم استوى على العرش ، **فاسألْ به خبيرا**" الفرقان 25/59. أي اسأل عنه خبيرا به. وقيل : لا تختص بذلك ، ومن هذا القبيل قوله تعالى"يوم تشققُ السماءُ **بالغمامِ**، ونُزِّلَ الملائكة تنزيلا"الفرقان 25/25. أي : تشقق السماء عن الغمامِ، ومنه قوله تعالى"يومَ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم، و**بأيمانهم**" الحديد 57/12. أي:وعن أيمانهم.

10-**الاستعلاء**.أي أن تأتي الباء بمعنى (على) ومنه قوله تعالى"ومِنْ أهل الكتاب منْ إن تأمنْه بقنطار يؤده إليك..." آل عمران 3/75أي: من إن تأمنه على قنطار، فـ(على) أكثر استعمالا مع هذا الفعل بمعنى الاستعلاء،ومنه قوله تعالى" قال:هل **آمنُكُمْ عليه** إلا كما **أمِنْتُكم على** أخيه من قَبْلُ" يوسف12/46. ومما جاءت فيه الباء للاستعلاء قول الشاعر:

أربٌّ يبول الثُعْلبانُ **برأسه**  لقد هانَ من بالتْ عليه الثعالبُ

11**-التبعيض** .يريدون بذلك أن الحدث وقع على بعض المجرور بالباء، ومن ذلك عندهم قوله تعالى" إنَّ الأبرار يشربون من كأس، كان مزاجُها كافورا،عينا يشرب **بها** عبادُ الله،يفجرونها تفجيرا" الإنسان 76/5-6. أي يشربون بعضها، أي بعض مائها، ومنه قول الشاعر:

فلثمتُ فاها آخِـذا بقرونها شُرْبَ النَّزِيْفِ **بِبَـرْد** ماءِ الحَشْرَجِ

والراجح أن معنى الباء هنا هو السببية أو الواسطة أو كليهما، لأن الفعل(شرِب)عندما يتعدى بالباء يكون متضمنا معنى الشرب والري معا، فشرب بالشيء معناه شربه، وروِيَ به، إذ ليس كل ما يُشْرَبُ يَرْوِي، أو يشفي من غلِّ العطش الحقيقي أو المجازي.

12-**القَسَـــم** . وهي الباء المتعلِّـقة مع مجروها بفعل القسم ظاهرا أو مقدرا، وذلك نحو" أقسم بالله لأفعلنَّ" و"بك لأفعلنَّ" أي أقسم بك،و"بالله هل قام زيد؟" أي أسألك مستحلفا إياك بالله، أو أستحلفك بالله، ومن ذلك قول الشاعر:

باللهِ ربكِ إلا قلتِ صادقة أصادِقا نطقَ المجنونُ أم كذبا

وقول الآخر:

بعينيكِ يا سلمى ارحمي ذا صبابة أبى غيرَ ما يُرضيك في السرِّ والجَهْـرِ.

13-**انتهاء الغاية** . أي بمعنى(إلى) ومنه عند من قال به قوله تعالى "...وقد أحسن بي إذْ أخرجني من السجن" يوسف 12/100.أي أحسنَ إليَّ، يريدون أنَّ المعنى هو :انتهى إحسانه إليَّ، وقيل: إنَّ الفعل(أحسن)هنا مضمن معنى(لطف) فَعُدِّي بالباء كما يُعَدَّى بها الفعل(لطفَ) .

**ثانيا : الباء حرف جار زائد** .

وفي هذه الحالة لها معنى واحد هو التوكيد، شأنها في ذلك شأن أي عنصر لغوي زائد نحويا لا معنويا، ولكن المهم فيما نحن فيه من أمر هذه الباء أن لزيادتها حالات وأحكاما مختلفة، نحاول إيجازها فيما يلي.

1-زيادة الباء في الفاعل، ولذلك حالات وأحكام، وهي:

1. زيادتها واجبة في فاعل فعل التعجب الماضي الجامد(أفْعِلْ)عند البصريين، وذك نحو" أحسن بزيد" والمراد التعجب من حسن زيد، فالباء في(بزيد) زائدة وجوبا، وزيد مجرور لفظا مرفوع محلاً، على أنه فاعل للفعل(أحسنْ)
2. زيادتها جائزة في فاعل الفعل(كفى) عندما يكون في معنى(اكتفِ) وذلك نحو قوله تعالى" قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم" الرعد13/43. أي كفى الله شهيدا بيني وبينكم، والمعنى اكتفوا به تعالى حاكما بيني وبينكم.
3. في الضرورة الشعرية . ومن ذلك قول الشاعر:

مهما لي الليلة مهما ليهْ أودى بنعليَّ وسِـرْباليهْ

يهول الشاعر المخاطر التي حلت به في تلك الليلة، فقد شارف فيها على الهلاك، وكنى عن ذلك بهلاك متاعه: نعلاه، وسرباله. وأودى معناه هلك، الباء زائدة للضرورة في الفاعل(نعلاي) فهو مجرور في اللفظ مرفوع في المحل، وقد حملوا على ذلك الباء في الفاعل(ما) من قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد.

والتقدير عندهم : ألم يأتك ما لاقت لون بني زياد ؟

2-زياد الباء في المفعول به .وهذه الزيادة لها حالات وأحكام، يمكن إيجازها فيما يلي:

1. يجوز زيادتها في مفاعيل أفعال سمعت متعدية بنفسها كما سمعت متعدية بالباء، وهذا مقصور على السماع، ومن ذلك أفعال القلوب نحو(علم – درى..) وما في معناها، وأفعال التسمية، وما في معناها(سمَّى –كنَّى- لقَّب) وذلك نحو "علمتُ الشيء وعلمتُ به، وسمعت بالصوت وسمعته) و(كنيته بأبي كذا، وأبا كذا) ومن ذلك (ألقى) وما في معناه نحو" الشيء ،وألقى به" ومنه قوله تعالى" ولا تُـلْقُـوا بأيديكم إلى التهْلُكَة "البقرة 2/195.
2. زيادة الباء شذوذا في مفاعيل بعض الأفعال، ومن ذلك زيادتها في مفعول الفعل(يرد) في قوله تعالى"ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم" [الحج22/25] أي: ومَنْ يُرِدْ فيه إلحادا، ومن ذلك زيادتها في مفعول الفعل(كفى) في قول الشاعر

**فكفى بنا فضلا على من غيرنا حبُّ النبي محمدٍ إيانا**

أي : كفانا فضلا على من غيرنا.، وعلى ذلك جاء قوله:

**كفى بجسمي نحولاً أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني**.

ومما حملت فيه زيادة الباء في المفعول به على الشذوذ، أو التضمين قول الشاعر:

**هنَّ الحرائرُ، لا ربَّات أحمرة سودُ المحاجر، لا يقرأن بالسور**

والتقدير: لا يقرأن السور، وقيل إن الباء أصلية، وأن الفعل (يقرأ) هنا معناه يتبرك، وهو وجه وجيه.

3-زيادة الباء في المبتدأ. ولها حالات وأحكام، وزيادتها في ذلك جائزة، وذلك إذا كان المبتدأ بلفظ(حسب) أو بعد إذا الفجائية، أو بعد(كيف) وذلك نحو"بحسبك درهم= حسبك درهم" و"خرجت فإذا بزيد واقف= خرجتُ فإذا زيد واقف" و"كيف بك إذا رسبت وقد نجح الآخرون ؟= كيف أنت إذا ..."

4-زيادة الباء في اسم(ليس) وزيادتها في هذه الحالة شاذة، ومن ذلك قوله تعالى في إحدى القراءات"ليس البرَّ بأن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم والآخر والملائكة.." فالمصدر المؤول من(أن) والفعل (تولوا) مجرور لفظا بالباء الزائدة شذوذا مرفوع محلا على أنه اسم(ليس) وخبرها(البرَّ) بالنصب عل هذه القراءة. ومن هذا القبيل قول الشاعر:

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذي في يديه

والتقدير: أليس عجيبا إصابةُ الفتى ببعض الذي في يديه ؟

5-زيادة الباء في الخبر. تزاد الباء قياسا في أي خبر إذا كانت في سياق النفي، وزيادتها في غير ذلك شاذة،تحفظ، ولا يقاس عليها. ومن القبيل الأول قوله تعالى " وما الله بغافل عما تعملون" فالباء في(بغافل) زائدة في الخبر المنفي جواز، و(غافل) مجرور لفظا مرفوع محلا على إهمال(ما) ومنصوب محلا على إعمالها عمل (ليس) ومن زيادتها في الخبر شذوذا زيادتها فيه في قوله تعالى عند بعضهم" والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة **بمثلها،** وتَرْهَقُهم ذِلَّة" الشورى /40والتقدير عند بعضهم : جزاء سيئة سيئة مثلها. ومن ذلك عند بعضهم قول الشاعر:

**فلا تطمعْ -أبيت اللعن- فيها ومنعكُها بشيء يُسْتَطاع.**

والتقدير:ومنعُك إياها شيء مُسْتطاع. وقيل: إن الباء أصلية متعلقة ومجرورها بالفعل(يستطاع) ومعناها الواسطة أو الاستعانة .

6-زيادة الباء في الحال المنفية، وذلك شاذ عند الجمهور،وأجاز ذلك بعضهم حملا للحال المنفية على الخبر المنفي، لأن الحال في النهاية ضرب من الإخبار، وهو قول لا يخلو من وجاهة ، ومنه قول الشاعر:

فما رجعت **بخائبة** ركاب حكيمُ بنُ المُسَيِّب منتهاها

والتقدير: ما رجعت خائبة، فـ(خائبة) مجرور لفظا منصوب محلا على الحالية، ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

وكائنْ دُعِيْتُ إلى بأساء داهمةٍ فما انبعثتُ بمزؤود ولا وكلِ

7-زيادة الباء جائزة في كلمتي التوكيد المعنوي (نفس وعين) وأضاف بعض المحدثين-وذلك صواب- كلمة(ذات) عند ما تكون في معناهما، وفي سياق التوكيد أيضا، وذلك سواء أكانت هذه الكلمات مرفوعة أو منصوبة، نقول: هذا زيدٌ بنفسه، ورأيت زيدا بعينه، وجاء زيد ذاتُه. ومن هذا القبيل قوله تعالى " والمطلقاتُ يتربَّصْنَ **بأنفسهن** ثلاثة قروء" البقرة 2/228. فقد أجاز أبو حيان أن تكون الباء زائدة (وأنفهس) توكيد لضمير الفاعل في(يتربصن)فـ(أنفس)مجرور في اللفظ مرفوع في المحل، لأنه توكيد معنوي لمرفوع، وهو نون النسوة في(يتربصن) كما أجاز أبو حيان قولهم بأن الباء هنا أصلية بمعنى السببية، أي يتربصن بمعنى ينتظرن ثلاثة قروء بسبب أنفسهن، أي لأجل ما في أنفسهن من الرغبة في الزواج. ومما نحن فيه قول الشاعر:

هذا لعمرُكُـمُ الصغارُ **بعينه** لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

الأصل: هذا الصغار عينه، فالباء زائدة جوازا في لفظ التوكيد المعنوي(عين) المجرور لفظا المرفوع محلا، لأنه توكيد معنوي للخبر (الصغار)

1. - **يقول أرنست رينان المستشرق المعروف بتعصبه ضد الساميين عامة والعرب خاصة(ربما كانت اللغة العربية نفسها هي الظاهرة الأشد غرابة والأكثر استعصاء على الشرح والتعليل، فهذه اللغة المجهولة قبل هذا التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي، لقد كانت من الكمال منذ بدايتها بدرجة تدفعنا إلى القول بإيجاز، إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحديث لم تتعرض لأي تعديل ذي بال، اللغة العربية لا طفولة لها ..) حسن الظاظا، الساميون ولغاتهم ، ط2، دار القلم- الدار الشامية ،بيروت- دمشق، 1990،ص 135.** [↑](#footnote-ref-1)
2. **- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ص15، وانظر:ص18.** [↑](#footnote-ref-2)
3. -**من أسرار اللغة، ص279.**  [↑](#footnote-ref-3)
4. - **انظر : حمزة قبلان المزيني ، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة، ص 14** [↑](#footnote-ref-4)
5. - **انظر: نزهة الألباء 9، ومدخل إلى تاريخ النحو العربي 34-35لـ(أبو المكارم) وإعراب القرآن الكريم وبيانه للدرويش4/54.** [↑](#footnote-ref-5)
6. - انظر جورج مونان، تاريخ علم اللغة، تر. د. بدر الدين القاسم، ص64، ط1، دمشق،1972.ورفيق بن حمودة، الوصفية،مفهومها ونظامها في النظريات اللسانية، ص178، ط1، صفاقس2004م. [↑](#footnote-ref-6)
7. - انظر: الصاحبي في فقه اللغة، ط البابي الحلبي، القاهرة 1977، ص 13. والجدير بالذكر أن استعمال ابن فارس لمصطلح "علم النحو" يُسْـتَـبْـعَـد معه حمل الدكتور فخر الدين قباوة في "مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء"ص45كلام ابن فارس هنا على أنه أراد الإعراب بمعناه اللغوي، أي الإبانة، يقول الدكتور قباوة : لعل أحمد بن فارس أيضا كان يعني الإعراب التعبيري حين ذكر أن العرب قبل الإسلام بقرون كانوا يعرفون الرفع والنصب والجر و يتداولون الإعراب.، ثم ضعف ذلك ، حتى إذا جاء الإسلام جدده أبو الأسود الدؤلي....فلربما أراد بالإعراب معناه اللغوي ، أي الإبانة، يعني الإبانة عن المعاني بالألفاظ، على غرار أساليب العرب. [↑](#footnote-ref-7)
8. - علي أبو المكارم، مقومات الجملة العربية، ص46. [↑](#footnote-ref-8)
9. - انظر كتابه، إعراب القرآن وبيانه، 4/54، 55. [↑](#footnote-ref-9)
10. - انظر كتابه (بحوث في اللغة والبلاغة ) ، ط1، مطبعة اليمامة،حمص،1995، ص53، 157. [↑](#footnote-ref-10)
11. - انظر: المفصل في تاريخ النحو العربي قبل سيبويه89. د. محمد خير الحلواني. [↑](#footnote-ref-11)
12. - السويق : طعام مصنوع من سمن ودقيق الحنطة أو الشعير . [↑](#footnote-ref-12)
13. - الشمال : الريح المعروفة، والحاصب : الريح المشوبة بالغبار وصغار الحصا، ،والأرحل جمع مفرده : رحْل، وهو ما يوضع فيه المتاع على ظهر الناقة ،والزواحف: النياق، و الرير: الذائب أو الفاسد، وروي البيت : على زواحفَ نزجيها محاسيرِ. [↑](#footnote-ref-13)
14. - عضُّ الزمان هنا القحط والمحل، والمُسْحَتُ: المال المُسْتَأصَل الذي لم يبق منه شيء، أما المال المُجَلَّفُ فهو الذي ذهب معظمه، وبقي منه الشيء اليسير، والمناسب أن يقال : أو مجلَّفا بالنصب، لعطفه على المنصوب(مسحتا) ولذلك اعترض عليه الحضرمي. [↑](#footnote-ref-14)
15. - يقول : لو كان عبد الله ذليلا لهجوته ، ولكنه أذلُّ من الذليل، لأنه حليف الحضرميين ، وهؤلاء موالون لبني عبد شمس طمعا في حمايتهم لهم . [↑](#footnote-ref-15)
16. - ساورتني : واثبتني، ويقال إن الأفعى لا تلدغ إلا واثبة، والضئيلة : الحية الدقيقة القليلة اللحم، والناقعُ: السمُّ الثابت، والرُّقْش : جمع ، مفرده المؤنث رقْشاء، وهي الحية المنقطة بسواد . [↑](#footnote-ref-16)
17. - **يذكر عبد العال سالم مكرم في (الحلقة المفقودة في النحو العربي)ص 396-399 أن جذور النحو الكوفي تعود إلى عهد أبي الأسود الدؤلي الذي كان يفد إليه في البصرة من الكوفة من تتلمذوا نحويا على يديه، ومن هؤلاء سعد بن شداد الكوفي. كما يذكر أن النحوي الكوفي زهيرا الفرقبي تتلمذ على تلامذة أبي الأسود، كميمون الأقرن.**  [↑](#footnote-ref-17)
18. - **انظر ما جاء في الحاشية السابقة، وانظر لما قاله المحدثون في تأسيس المدرسة الكوفية : الحلقة المفقودة في النحو العربي،ص426...**  [↑](#footnote-ref-18)
19. - **انظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي**،ص420. [↑](#footnote-ref-19)
20. **- انظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ص413...** [↑](#footnote-ref-20)
21. **- انظر: أساليب الطلب 58، وتقويم الفكر النحوي 243-244لعلي أبو المكارم، والحذف والتقدير في النحو العربي ص14، لأبي المكارم أيضا ، وخطا متعثرة على طريق تجديد النحو العربي 113، لعفيف دمشقية ط1دار العلم للملايين - بيروت ، 1980،و العربية وعلم اللغة البنيوي ص42-45لحلمي خليل.**  [↑](#footnote-ref-21)
22. **- انظر : حمزة قبلان المزيني ، مكانة اللغة العربية في الدراسات اللسانية المعاصرة،ص 22-23.** [↑](#footnote-ref-22)
23. **- الحذف والتقدير في النحو العربي، ص362** [↑](#footnote-ref-23)
24. - **انظر للدكتور عبد الناصر إسماعيل عساف "هذه المصطلحات النحوية أإحياء للتراث أم إساءة إليه، ردَّا على إبراهيم السامرائي" مجلة الفيصل، ع286، ص121-124.** [↑](#footnote-ref-24)
25. -**انظر: المرجع السابق، ص122.**  [↑](#footnote-ref-25)
26. **- لمزيد من التفصيل حول ما تقدم، وما سيأتي من الحديث عن ضوابط استدلال النحاة بالقرآن الكريم وقراءاته انظر: كتاب " غير المطرد قي القراءات القرآنية؛ قراءة في العلاقة بين القاعدة والنص" للدكتور محمد عبدو فلفل.**  [↑](#footnote-ref-26)
27. **- انظر كتاب " الشاذ عند أعلام النحاة، تعليله وتأويله، والاستدلال به ورده" للدكتور محمد عبدو فلفل.** [↑](#footnote-ref-27)
28. **- يصف الشاعر غُــيُـوماً، ارتوت من ماء البحر، ثم ارتفعت من عن لجـــجِه الخضر، أي أن هذه الأمواج الخضراء متلاطمة تلاطما يجعلها تصدر نئيجاً، والنئيج: الصوت الناجم عن تلاطم أمواج البحر.** [↑](#footnote-ref-28)
29. **- للتوسع في ذلك انظر كتاب " اللغة الشعرية عند النحاة؛ دراسة للشاهد الشعري، والضرورة الشعرية في النحو العربي" للدكتور محمد عبدو فلفل.** [↑](#footnote-ref-29)
30. - **ردُّوا استدلال الكوفيين بالبيت(أتهجر..) بأن ردوا الرواية التي استدل بها الكوفيون، وقالوا: الرواية الصحيحة هي : وما كان نفسي بالفراق تطيب، وقالوا للكوفيين: لئن سلمنا بصحة ما رويتموه ، إنا نقول إن نصب (نفسا) ليس على التمييز ، بل بفعل محذوف، وكأنه قال أعني نفسا، وإن قدرنا ما ذكرتموه فإنما جاء في الشعر قليلا على طريق الشذوذ ، فلا يكون فيه حجة.**  [↑](#footnote-ref-30)
31. - **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، ص62، 105، 107.**  [↑](#footnote-ref-31)
32. -انظر: نظرية العامل في النحو العربي ص34-35 لمصطفى بن حمزة . [↑](#footnote-ref-32)
33. -**من الكتب الحديثة التي عنيت بكتاب سيبويه، وما أثاره من شروح له ولشواهده كتاب "سيبويه وشروحه" لخديجة الحديثي، وكتاب "سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين" لكوركيس عواد.** [↑](#footnote-ref-33)
34. - مهلاً مفعول مطلق لفعل محذوف ، ومعناه هنا رفقا ، وأصله : أمهلي إمهالا ، فحذف عامله كما حذف زائده ، وجُعِل نائبا عن فعله، و(بعض) منصوب به ، لا بفعله ، وأزمعتِ صرمي ، عزمتِ على هجراني وقطيعتي . [↑](#footnote-ref-34)
35. - التصور هو طلب إدراك المفرد في الاستفهام، وهو الغرض من السؤال بالهمزة أحيانا، وهو الغرض الدائم للسؤال بكل أسماء الاستفهام، وذلك نحو " أسافر محمد أم عمرو ؟" وذلك عندما يكون السائل قد عرف أن المسند قد وقع من مسند ما، والمطلوب عنده تحديد المسند إليه في الواقع، وقد يكون المطلوب تحديد الزمان أو المكان أو العدد أو الماهية أو غيرها، وذلك بحسب اسم الاستفهام المستعمل . [↑](#footnote-ref-35)
36. - التصديق هو طلب تصديق المخاطب لإسناد المسند إلى المسد إليه إيجاباً أو سلباً،وهو غرض الاستفهام بـ(هل) دائما، وغرض الاستفهام بالهمزة أحيانا كما لاحظنا. وأمارته أن الإجابة عنه تكون بأحد أحرف الجواب كـ(نعم) أو(لا).بعبارة أخرى التصور هو السؤال عن الشيء مكانا كان أو زمانا أو ذاتا أو..وأما التصديق فهو السؤال عن الإسناد فقط، وأسماء الاستفهام كلها للتصور...أما(هل) فللتصديق دائما في الفصيح من الكلام نحو "هل جاء زيد ؟ لذا لا يقال(هل سافر زيد أم عمرو؟) عند المحققين. [↑](#footnote-ref-36)
37. - يريد أن هذه المرأة (نُعْم) رأت رجلا أخا سفر يصلَى الحرَّ والبرد، بلا ساتر، فهو يضحى للشمس إذا عارضت أي طلعت وعلت، أي يبرز لها ، ويخصَرُ في العشيِّ ،أي: يبرد في المساء لغيابها [↑](#footnote-ref-37)
38. **- يهجو الشاعر قوما بأنهم ليسو من رجال الحرب، وأن غاية ما يكون منهم هو المسير مع الناس في عراض المواكب، أي في نواحيها، و العراض جمع مفرده عُرْض، وهو الناحية، وسيرأ إما مفعول مطلق لفعل محذوف والتقدير : ولكنكم تسيرون سيرأ ، وإما أنه اسم (لكنَّ) والتقدير : ولكنَّ سيرا في عراض المواكب لكم** [↑](#footnote-ref-38)
39. **- القراءة المشهورة برفع (ثمود)** [↑](#footnote-ref-39)
40. - **أي أن الصياد انتظر هذا الحمار الوحشي إلى أن صار شديد القرب منه، و(حتى) حرف غاية و استئناف، و(إذا)ظرفية، وبعدها فعل(صار) محذوف، لأن (إذا) الظرفية المستقبلية لا تضاف عند الجمهور إلا إلى الجملة الفعلية، والمعنى أن الصياد صار لشدة قربه من الحمار مثل الرجل القريب من الماء والذي يتمكن من أن يغرف بيده من جَمَّته ، أي من مجتمع هذا الماء.** [↑](#footnote-ref-40)
41. **- وذلك في قراءة النصب(عبادا)وتخفيف(إنْ) المكسورة، ونصب(أمثالكم) على أنه صفة لـ(عبادا)وكأن المعنى نفي أن تكون الأصنام المعبودة عباداً أمثال الناس التي يعبدونها، أي هي أقل قدرا من عبَّادها، وهذه قراءة شاذة، وقراءة الجمهور ؛ إنَّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالُكم. فـ(عبادٌ) خبر(إنَّ) وأمثالكم صفة للعباد، ويمكن أن تكون خبرا ثانيا.**  [↑](#footnote-ref-41)
42. **- وذلك في قراءة من قرأ بالتخفيف.**  [↑](#footnote-ref-42)
43. **- السَّلِمَة : الحجرة**  [↑](#footnote-ref-43)
44. - البيت للفرزدق، وقد روي بنصب الاسم (شريد) و رفع الخبر (طليق) للضرورة ،لأن تنكير الاسم وتعريف الخبر جائز في الشعر، وحمله بعضهم على القلب أو تقارض الأحكام . أما رواية من رفع (شريد) فمحمول عندهم على القطع ، وذلك بجعل(طليق) مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : منهم طليق ، وجعله بعضهم خبرا لمبتدأ محذوف ، والتقدير : فبعضهم طليق، والجدير بالذكر أن الشريد هنا واحد يؤدي معنى الجمع . والطليق : الأسير الذي فُـــكَّ إسارُه، والمكتوف : المشدود اليدين إلى الوراء بالكتاف ، والمزعف المقتول . [↑](#footnote-ref-44)
45. - الهامُ جمع مفرده هامَةٌ، وهامة الشيء أعلاه ، والمراد بالهام القبور، لأنه رثاء قوم ماتوا ، والقنا: جمع قناة، وهي الرمح ، والسنور: لبوس الحرب كالدرع . يريد أنهم كانوا جمال المجالس يوم الجمع ، وجمال السلاح يوم الروع . [↑](#footnote-ref-45)
46. - أمُّ قشعم : الحرب ، أو المنية . [↑](#footnote-ref-46)
47. - ليُّ العِمامة: لفها على الرأس . [↑](#footnote-ref-47)
48. **- روي البيت برفع سهيل وجره ، وسهيل : مبتدأ خبره محذوف والتقدير : حيث سهيل موجود طالعا ، وطالعا: حال .**  [↑](#footnote-ref-48)
49. - الرواية بالفتح(أنني) والمصدر المؤول معطوف على مصدر سابق سادٍّ مسد مفعولي(يعلم) يريد أنه كان دائم التلفت إلى أحبابه يوم الفراق، وأنه كان يحل حيث يوجه العشقُّ بصره، وأنه يدنو فينظر حيث يسلك أحبته . وأصل(أنظورُ) :أنظر ،فأشبعت الضمة للضرورة . [↑](#footnote-ref-49)
50. - يريد أنه سرى ليلا بصحبة رجل غشوم ظلوم قوي، رشيق الحركة ، لأنه ليس ثقيل الجسم، وقد سرى به ليتخلص منه. [↑](#footnote-ref-50)